رسائل مغترب

دار خيال للنشر والترجمة ©
تجزئة 53 قطعة. رقم 27. بليمور
برج بوعريريج – الجزائر-
0668779826
Khayaleditions@gmail.com
ردمك :1-313-06-9931-978
الإيداع القانوني : السداسي الأول 2021.

رياض رمضان بن وادن

رسائل مغترب

مقالات

مقدمة

الأصلاء عندما يرتبون حقائبهم من أجل الرحيل إلى الضفة الأخرى فإنهم حتما يحملون كذلك معهم همّ الوطن، فهو أمانة في أعناقهم إلى اليوم الذي يلقون فيه ربهم. ولا يكتشف حب الوطن إلاّ عند مغادرته، ولا يعرف حجم تقصيرنا في حقه إلاّ عند مقارنته بأوطان أخرى، حينها ندرك بأن ذلك الحب لم يكن إلاّ شوفينية، وأن التقصير وصل إلى حد الجرم والتنكيل والتخريب.

حب الوطن ليس أغنية نتغنى بها ولا ألحان نرددها أو حفلات نقيمها هنا وهناك.. حب الوطن هو خدمته، هو التضحية من أجله، هو انتصارات متتالية في كل المجالات.. حب الوطن هو ذلك الجمال والإبداع والرقي الذي يظهر للعيان، يعبر عن نفسه دون أن نقول فيه أي كلمة أو ننشد له أي أنشودة.

يوم اتفقت مع الكاتب الكبير المرحوم بشير حمادي رحمة الله عليه على كتابة عمود الخميس في الجريدة التي كان يديرها جريدة الحقائق، لم يكن صعبا عليّ أن أجد العنوان المناسب فمباشرة وقع اختياري على "رسائل مغترب". رسائل أردناها ليس كمثل الرسائل التي اعتدنا على قراءتها، فهي ليست للأهل ولا للزوجة ولا للأصدقاء ولا لأي شخص آخر كائنا من كان، وإنما لنا جميعا، لكل فرد فينا، لضمائرنا وعقولنا، للضمير الجمعي الذي يقودنا والذي كثيرا ما نقف عاجزين عن مخالفة ضغوطاته بالرغم من علمنا بأنه في حالات عديدة هو سبب الجرم والتنكيل والتخريب الذي أصاب وطننا.

"رسائل مغترب" مقالات ليست في السياسة ولا في الاجتماع ولا في الوعظ والإصلاح ولا في التربية.. ولا هي مقالات لمعارض سياسي أو لصوت من وراء البحار يريد فتنة في بلده، فللأسف هكذا يعتقد بعض المسؤولين ومعهم العديد من العامة يتوجسون خيفة من كل صوت يأتي من بعيد حتى ولو أراد النصح والتوجيه وتقديم نقد بنّاء من أجل مصلحة الوطن وازدهاره، ربما بسبب دعاية "أولوية الداخل عن الخارج". ولكن هي دين لابد أن يسدد للوطن نظير كرمه وعطائه، هي واجب من الواجبات لابد أن تؤدى، هي شحنة من الحب ورغبة جامحة من أجل وطن أفضل ورفاهية تمس جميع أبنائه دون تفرقة أو طبقية.

"رسائل مغترب" أردنا أن نخاطب من خلالها الضمائر الحية وكل الخيرين حتى يستمروا في بذل ما يمكن بذله لتصحيح الوجهة، كما أردناها لمن يئسوا التغيير واعتقدوا أنّ لا أمل وأن الأمر قد قضي، كما هي للتائهين والغافلين من أجل أن توقظهم من تيههم وغفلتهم، للجميع أردنا أن نقول أننا مجتمعين يمكننا أن نصنع شيئا جميلا، وأن التغيير بسيط يبدأ من ذواتنا، وأنه مستمر لا يحده مكان أو زمان، وأنه إذا تصرف كل واحد منّا بوعي من موقعه فإننا في وقت وجيز سنخطوا خطوات جبارة نحو الأحسن والأفضل، تتغير عوامل الطرد إلى عوامل جذب ويصبح الوطن حضنا دافئا لكل أبنائه وبناته.

ستوكهولم يوم:
الأحد 2021/02/28

حوادث الطرقات.. متى تنتهي؟

يخبرني أصدقاء في ديار الغربة بأنهم عندما يعودون إلى أرض الوطن الجزائر لا يقدرون على السياقة خوفا وفزعا، رغم ما يتمتعون به من خبرة لسنوات عديدة، ونفس الشعور بالنسبة لي، فرغم إقدامي على السياقة، إلاّ أنني أشعر بآلام في البطن كلما قدت لمسافات طويلة، وسبب ذلك هول ما أراه وما أشعر به من مخاطر تحيط بي في عالم الطرقات، رغم أنها تسمى: فنّ السياقة.!!

قبل أسبوع فقط، قرأت وسمعت في الإعلام بأن في الجزائر كل يوم يموت اثنا عشرة شخصا في حوادث المرور، وهو رقم مرتفع جدا مقارنة بدول أخرى، بل ورقم مخيف ومرعب يتطلب من السلطات الجزائرية وكل المعنيين بأن ينظروا فيه، ويعالجوا هذه الظاهرة في أقرب وقت، يبحثوا عن أسبابها الحقيقية ويضعوا لها الحلول المناسبة، بل ولابد أن تكون من أولويات مشاريع الحكومة بمختلف قطاعاتها، وأن تكون أولوية رئيس الجمهورية القادم قبل كل أولويات أخرى، لأنها مسألة تتعلق بحياة الأشخاص.

حوادث المرور تكاليفها باهضة الثمن، تثقل كاهل الدولة وكذا لها سلبياتها وأثرها النفسي على الأفراد والجماعات والمختصون يتحدثون عن عائلات شرّدت، وزوجات رملّت وأطفال يُتمّت.. بسبب حوادث المرور، علاوة على أنها تكون سببًا لانحرافات عديدة في المجتمع، وفقدان الأمان النفسي وما

يترتب عن ذلك من إحباط لتقدم وازدهار المجتمع، وأثر ذلك على الاقتصاد والتجارة والتنمية والسياحة.

لا أريد في هذا المقال أن أذكّر بالأسباب التي أدت إلى استفحال هذه الظاهرة المأساوية، فقد كتبت مقالات عديدة في ذلك، والخوض فيها حتما سيدفعني لكتابة مجلد كامل، أتنقل في محاوره من أسباب نفسية إلى أسباب ثقافية إلى أسباب أخلاقية إلى غياب الصرامة والمراقبة وتطبيق القوانين، إلى الانتشار الواسع لحظيرة المركبات الكبيرة والصغيرة دون خضوعها إلى المراقبة التقنية الدقيقة، إلى حالة الطرقات وافتقادها للمعايير الدولية أثناء الإنجاز وكذا الغياب التام في غالبية المدن وخارج المدن لإشارات المرور على جانب الطرقات وعدم احترام السائقين لها في حالة وجودها.

قلت، إن الموضوع خطير وشائك في نفس الوقت، شائك من حيث المعالجة، لأن أسبابه متداخلة، وعلاجه للأسف لن يكون في القريب العاجل، وأن المعالجة الأمنية التي يقترحها البعض أجدها غير مجدية ولا تنهي المشكلة نهائيا، إلاّ أنها تبقى ضرورية كي تضبط بعض الشيء سلوكات المتهورين من السائقين.

واقتراحي لمعالجة هذه الظاهرة الخطيرة والتي أصبحت في مستوى المستعجل جدا، هو التركيز على ضابطين هامين: ضابط علاجي وآخر عقابي. أما العلاجي فيشمل كل ما هو ثقافي توعوي، إرشادي، توجيهي.. بمعنى أن تصبح ظاهرة حوادث المرور حديث الساعة، تصبح صناعة إعلامية بامتياز، بحيث تُمارس ضغطا كبيرا على جميع الأفراد الكبير والصغير، تصبح حديث المساجد والمدارس والجامعات والملاعب والبيوت وفي

ومضات الإشهار، قبل الأفلام وبعد الأفلام، تقام ندوات وتحسيسات للمجتمع في كل مكان، وتبث مشاهد عن حوادث مأساوية حقيقية، حتى يعلم الجميع بما في ذلك مدارس تعليم السياقة.

هذا من جهة، من جهة أخرى لابد أن تلعب الأجهزة الأمنية دورها الحقيقي وأن تضرب بيد من حديد كل من يتلاعب بأرواح الناس.

تبقى المعالجة النهائية لهذه الظاهرة الخطيرة تحتاج إلى سياسات وإلى إصلاحات تمس البنية الاقتصادية والسياسية والتربوية... تمس كل ما من شأنه أن يكون سببًا يدفع الأفراد لهذا الفعل غير المسؤول، وهذا يتطلب دراسات ميدانية جادة يتولاها مختصون في قطاعات عديدة.

إني أتساءل دائما، وهذا الموضوع يؤرقني كثيرا، كيف لدولة مثل الولايات المتحدة الأمريكية بتعقد طرقاتها والحجم الكبير لحظيرة السيارات فيها، وسياقة العديد من الأشخاص فيها وهم في حالة سكر... تفوقها الجزائر في حوادث المرور؟! وكيف لدول سكاندينافيا مجتمعة لا تتعدى الوفيات بحوادث المرور فيها الألف شخص في السنة ونحن في الجزائر تفوق الأربعة آلاف ضحية؟!! إنه واقع مؤلم، ظاهرة أصبحت تشكل إرهابا حقيقيا أرقامها في تصاعد، ولهذا من حقنا أن نسأل ونصرخ: حوادث الطرقات.. متى تنتهي؟!

ارموا بالسلالم للشباب يحتضن النجاح

بأعداد هائلة يهاجر الناس إلى أوروبا وأمريكا وكندا.. طلبا للعيش الكريم وبحثا عن الحرية وعن العمل وإثبات الوجود.. ويهرب من العالم المتخلف والعالم الثالث كل سنة الآلاف المؤلفة من الشباب هربا من ضيق العيش ومن الفساد والدكتاتوريات والبيروقراطية.. بحثا عن أفق جديد وأمل ومتنفس لحياة كريمة مستقرة.

وتصل إلى العالم الغربي حشود من الناس من مختلف الأعمار والمستويات.. يصل الطبيب والمهندس والأستاذ الجامعي وغيرهم من أصحاب الشهادات العلمية الرفيعة.. كما يصل كذلك غير المتعلم والجاهل والأمي والذي لا يفرق بين حرف الفاء وحرف القاف أو بين حرف الجيم وحرف الخاء.. إلاّ أنه بعد سنين قليلة يدمج كل واحد حسب قدراته وحسب رغباته إلى عالم الشغل ويصبح عنصرا فعالا في تطوير اقتصاديات هذه الدول وكنز كبير لما سيأتي بعد ذلك من أطفال يصبحون ركيزة من ركائز هذه الدول يتكلمون بلسانها المبين ويفكرون بفكرها ويحملون ثقافاتها وهمومها وأفراحها وأتراحها.. والكل يعيش حياته كما يريد وكما يرغب ويهوى.

القادم إلى الغرب يجد سُلما ينتظره من أجل أن يصعد ويتدرج بواسطته إلى النجاح وإثبات الذات.. فمن يحسن استعمال هذا السلم فإنه سينجح حتما.. أما من يدير ظهره له فسيعيش على حافة المجتمع ولن يستفيد من غربته إلاّ التعب والهموم ومشاكل أخر لا تعد ولا تحصى.

وعندما أتكلم عن هذه السلالم إنما أقصد بها تلك السياسات المدروسة والممنهجة تبدأ من تعليم اللغة إلى الإدماج العلمي والثقافي والعملي.. فهي عملية أتوماتيكية من يسلك ويصبر على مراحلها فسيصل حتما إلى مراده ومبتغاه.. الغرب برمته أتقن الاستثمار في الإنسان وفي عقله فنجح وكسب من ذلك الشيء الكثير.. الغرب اكتشف بأن الإنسان سهل التكوين والترويض وهو المادة الأساسية لكل دولة تريد أن تزدهر وتتطور.

أما بلداننا التعيسة فهي لا تملك أدنى علم أو تخطيط من أجل استغلال قدرات مثقفيها أو أصحاب الشهادة العلمية ومتخرجي الجامعات.. فما بالك بمن لمن يسعفهم الحظ في النجاح في الدراسة والتعلم.. فهؤلاء في نظر المسؤولين هم عبارة عن مجموعة كلاب يجب أن تبقى في الشارع تجري وتلهث وتنبح.. المسؤول العربي لم يعرف معنى للنجاح ولم يعشه.. فكيف له أن يعمل على إنجاح الآخرين!!؟

إن السلالم التي تكلمت عنها في الغرب لا وجود لها في دول الهمّ والنكد.. بلداننا العربية والإسلامية.. فهم لم يتربوا على هذه المعاني ولم تُسق يوما في دساتيرهم ولا في مناهجهم التربوية أو التعليمية.. فسياستهم تدفع بالشباب وبكل شرائح المجتمع من شيوخ وعجائز وأطفال صغار إلى خلق سلالم بأيديهم من نوع آخر وهي سلالم الموت في عرض البحار نحو أوروبا أو السلالم التي تحمل إلى أماكن عالية من أجل الانتحار أو إلى حرق النفس والعياذ بالله.

لابد من سياسات حكيمة تصنع النجاح وتعطي لكل فرد في المجتمع فرصة إثبات الذات.. لابد من دمج الشباب والعناية بهم.. لابد من تضحيات ومشاريع وأفكار يشارك في وضعها المثقف والسياسي وعلماء الاجتماع والفلسفة وأصحاب الخبرات.. لابد من استثمار حقيقي في الإنسان منذ أن يرى نور هذه الحياة إلى غاية أن يغادرها.. لابد أن ننجح في هذه المهمة النبيلة ولكي ننجح لابد من محاربة الفساد والمفسدين.. وأن نحارب المحسوبية والعاملين عليها والبيروقراطية والمؤلفة قلوبهم عليها.. وأن نحارب كل من تسول له نفسه الزج بالشباب إلى هاوية البحر والانحراف.. لابد من دفع أهل الخير من السياسيين والإداريين لكي يديروا شؤوننا ويخططوا لمستقبل أفضل.. لنخرج من أنانية خدمة الأقارب والأولاد وأهل البلد إلى عقلية أكثر شمولية.. عقلية صنع الحياة الكريمة للجميع دون تمييز.. لابد من شعار جديد بدل شعار: ألقوا بالثورة للشعب يحتضنها.. إلى شعار: ألقوا بالسلالم للشعوب سيصنع النجاح ويرتقي بها.. نجاح الأمة في صناعة الحياة.. لنصبح خير أمة أخرجت للناس.

الثقة والمجتمع

تقول الحكمة: "واثق الخطوة يمشي ملكا" وتقول أخرى: "الثقة بالنفس جيش لا يقهر"، وبالرغم من أن هذا الكلام ينطبق كثيرا على الأفراد ويساهم في بناء شخصيتهم، إلاّ أنه يمكن سحبه كذلك على الجماعات والدول، ولنا على ذلك أمثلة نرددها يوميا تدل على قيمة وأهمية عنصر الثقة خاصة من الناحية الاقتصادية والاجتماعية.

فمن منا مثلا يشكك في قيمة منتوج "المرسيدس" الألماني لصناعة السيارات، أو منتوج شركة "طويوطا" اليابانية، أو جودة الألبسة الإيطالية، والعطور الفرنسية، والساعات السويسرية والزرابي العتيقة الإيرانية، والآلات الصناعية والتكنولوجية لكوريا الجنوبية والأمريكية والسويدية.. وغيرها من دول مختلفة في العالم؟! كيف ولماذا اشتهرت هذه المنتوجات خارج بلدانها؟ هل تمت العملية بضربة حظ أم أنها نتيجة عمل واجتهاد وإتقان مستمر ومتكرر للعمل مما أدى بشعوب الدول الأخرى للثقة بهم ؟!

أتساءل دائما وأنا تصلني كتب أطلبها عن طريق الشبكة العنكبوتية فأجدها بعد بضعة أيام في كيس معلقة في المقبض الخارجي لباب منزلي، وكذلك الأمر بالنسبة لكل المشتريات الأخرى بما في ذلك الخضر والفواكه والمشروبات وحتى الأدوية التي تباع خارجة وصفة الطبيب.. كيف يفعلون هذا؟ ألا يفكرون بأنني قد آخذ ما طلبته وأدعي بأنها لم تصلنِ؟ ليس هذا فقط، ثم لماذا يمر الجار من أمام باب جاره ولا يأخذ مقتنيات ومشتريات غيره؟!

كل هذه أسئلة مهمة لابد أن نتمعن فيها ونحاول قدر المستطاع الإجابة عنها بكل نزاهة وصدق.

لقد عملت كل هذه الشعوب التي وصلت إلى هذا المستوى من التعاملات إلى بناء عنصر الثقة في المجتمع، وقد أشار إلى هذا الكاتب الكبير فرانسيس فوكوياما في كتاب قيّم عنوانه: الثقة -الفضائل الاجتماعية ودورها في خلق الرخاء الاقتصادي. بالثقة تقوى الروابط ويعم الرخاء ويزول الشك والخوف ويتطور اقتصاد البلد ويكسب شعبه مكانة مرموقة بين الشعوب الأخرى، فمن كان يسمع بكوريا الجنوبية قبل ستين سنة فقط، ومن كان يعتقد بأن ألمانيا واليابان ستعودان بهذه القوة والحضور الدولي بعد الحرب نكبة الحرب العالمية الثانية أ وليس بسبب ثقتنا بمنتوجاتهما؟!

وكذلك نحن في الجزائر، إننا في حاجة ماسة إلى عنصر الثقة من أجل خلق اقتصاد قوي ومن أجل إنجاح العملية الاقتصادية والخدماتية، أن نخرج الثقة من "الثقة في الوثيقة" إلى واقع عملي يتجاوز الوثيقة الرسمية، في الجزائر نحن في حاجة ماسة لأن ندرك عمق وأهمية عنصر الثقة لضرورته في العلاقات بين الأفراد وبين المؤسسات، وهي تأتي بإتقان العمل وتحسين الجودة، وبالتحدي من أجل خلق منتوج أو منتوجات نفتخر بها تحمل اسم الجزائر، وكذا بطول الوقت والاستمرارية ومعاودة الكّرَة إذا دعت الضرورة لذلك.

وأهمية الثقة ليس فقط من الجانب الاقتصادي والخدماتي والرفاهية الاجتماعية، وإنما كذلك من الناحية الأمنية، فلننظر مثلا ضحايا المدافىء المنزلية كل شتاء، أو ضحايا بعض حوادث

المرور.. أ وليس بسبب تلك المنتوجات المغشوشة وقطاع غيار السيارات المقلدة التي تعرض للبيع في المحلات والأسواق؟ فلو كانت لنا منتوجاتنا صنعناها بثقة وبأيدينا وتحت أعيننا لحفظنا العديد من الأرواح البريئة.

إننا قادرون أن نخلق هذه الثقة ونصنع منتوجاتنا وندعمها ونفتخر بها، والعملية تعتمد أساسا على تنشئة اجتماعية لسنوات عديدة تساهم فيها وتسهر عليها كل مؤسسات المجتمع مؤسسة الأسرة والمدرسة والجامعة والإعلام بكل فروعه، هي ثقافة لابد أن تبنى ونعمل عليها جميعا، مثل ما فعلت وتفعل دول عديدة، هي الآن رائدة في العديد من المنتوجات، يكفي ذكر اسمها حتى نقتني منتوجاتها بأعين مغمضة، إنها الثقة وسحر الثقة وأهميتها بين الأفراد والدول والجماعات.

الجزائر أولا وآخرا.. الجزائر فوق الجميع

إن السرعة التي نفذت بها عملية اغتيال السائح الفرنسي من قبل مجموعة متشددة مجهولة الهوية يطرح الكثير من الأسئلة.. ويجعلنا نتساءل عن توقيت هذه العملية وعن الرسائل المشفرة التي تريد أن تبعث بها هذه المجموعة!؟

لو بدأنا في عملية جادة كي نجيب عن الأسئلة الكثيرة والمتعددة التي أنتجتها عملية الاغتيال هذه.. لسوف نجد أنفسنا بعد زمن قصير أو طويل بأننا نضرب خبط عشواء وأن الوقت يضيع من بين أيدينا والأحداث قد تتطور ولن نصل إلاّ إلى أجوبة عامة لا تسمن المثقفين ولا تغني الشعب الجزائري بمختلف شرائحه وتوجهاته الفكرية والسياسية.!!

لكني أعتقد بأن الوقت قد حان من أجل أن يفهم المواطن الجزائري المحب لوطنه بأن الجزائر تدفع دفعا إلى مستنقع كبير من الوحل عامر بالحيوانات المفترسة.. التي لن تتردد لحظة في افتراسها وفي تمزيقها قطعا قطعا إذا سمحت الظروف.. لا بد أن يفهم الشعب برمته بأن الجزائر في خطر وأن هناك دوافع ومدافع داخلية وخارجية تريد زعزعة استقرارها وإضعافها وليّ حبل المشنقة حول عنقها كي تغتال بدم بارد وتنهب خيراتها وتُسرق أموالها وتوزع ثرواتها بين أيادي داخلية مشبوهة طامعة وأخرى خارجية غادرة وماكرة.

لا بد من الشعب أن يتحرك قبل أن تصل إليه الليالي الحالكات التي أصبحنا نرى ظلامها قادما في الأفق الممتد والمفتوح.. تحمل بين جناحيها عواصفا وصواعقا ومحنا.. لابد أن

يتحرك الشعب ويجدد ولاءه لوطنه من خلال خلق حركية قوية وإنشاء جبهة صد وممانعة.. ينطوي تحتها كل محب للوطن دون تمييز فكري ولا أيديولوجي أو سياسي.. لابد من جبهة صد تمنع وتصرخ في وجه كل المناورين والعابثين والمتحكمين في مصير الأوطان والشعوب لتنادي بصوت واحد موحد بأن استقرار الجزائر ووحدتها خط أحمر.. وأن خيراتها ملك لكل الجزائريين وأن اختلاف الجزائريين يبقى شأنا داخليا لا دخل لأي جهة أجنبية فيه.

لا بد من تنظيم مسيرات عبر كل الوطن.. من الجنوب إلى الشمال ومن الشرق إلى الغرب يشارك فيها كل الأحرار وكل السياسيين والفاعلين والمثقفين بل ويشارك فيها كل رؤساء الحكومات السابقة والحالية وكل الأحزاب من وطنية وإسلامية وعلمانية وكل المنظمات الشبانية والنسوية ليرى ويشهد كل العالم بأن الجزائريين لا يريدون العودة إلى الوراء وأن سنوات الجمر والدمار قد ولت وأنهم تعلموا من خلال ثورتهم المباركة بأن لا دخل لهم في شؤون الغير وأن أولى الأولويات عندهم هو شأنهم الداخلي ومواصلة إصلاح ذات البين.

على الجميع أن يدرك بأن الأيام القادمة ستكون حبلى وسريعة بمفاجآت غير سارة وبقرارات سياسية قد لا تكون مرضية.. سرعتها ستكون مثل سرعة اختطاف الرهينة الفرنسي وسرعة تنفيذ عملية الاغتيال عليه وسرعة الإخراج والتمثيل والتوظيف والإشهار.!!

لا بد للطبقة السياسية أن تكون في مستوى تطلعات ورغبات الشعب وأن لا تعمل هي الأخرى لتزيد في تأزيم الوضع.. فعليها أن تعي بأن اليوم الذي أغتيل فيه الرعية الفرنسي قد دخلت الجزائر فيه مرحلة جديدة مثلها مثل الدول العربية الأخرى التي بدأت تاريخا جديدا يوم سارت في مسار الربيع العربي وطلب الحرية والتغيير.

لا بد على الجزائريين أن يتصرفوا بحكمة ودهاء لتفويت الفرصة أمام كل ماكر يحاول الزج بهم في مشاكل الآخرين.. فعلى الدبلوماسية أن تتحرك بكل قوة ونشاط وانسيابية لتمنع وتدفع عن البلد ما هو قادم من ضربات وضغوط من أجل التطويع والتخويف والترهيب.

لا بد من أن تفتح الأعين وأن تهدأ الأنفس وأن يتصرف العقل بحكمة وذكاء.. وليذكر الجميع أمام جميع العالم بأن الجزائر أولا.. الجزائر آخرا.. الجزائر فوق الجميع.

الجزائر بين دروس التاريخ وواقعية الجغرافيا..!!

لماذا تريد منا الطبقة السياسية والطبقة المثقفة العيش في دهاليس الماضي وشباكه العتية؟ لماذا يريدون منا ونحن أبناء الاستقلال والأكثر عددا وعدة أن نبقى قابعين في سجن التاريخ؟ هذا التاريخ الذي لم نكن يوما من صنّاعه ولا من الشاهدين على أحداثه ولا من الذين سطّروا حروفه.. إني جد متعجب من تصريحات الرئيس السابق لحزب التجمع الديمقراطي وخرجته الجديدة القديمة في اتهام بعض رموز وشخصيات هذا الوطن بالخيانة والتآمر والتصفيات الجسدية بعضهم لبعض.

المشكلة التي تواجهنا نحن أبناء الاستقلال أننا لم نجد وللأسف الشديد تاريخا مكتوبا بطريقة علمية أكاديمية دون زيغ أو ميل لطرف لنعود إليه كلما اختلط الحابل بالنابل وكلما ازدادت الشبهات.. رغم مغادرة العديد من صناع هذا التاريخ والشاهدين على أحداثه ورغم محاولة الباحثين والأكاديميين للوقوف على ذلك لكنهم لم يجدوا الدعم والمساندة!!.

أعتقد في رأيي الخاص أنه هناك أشخاص من أبناء جلدتنا يتكلمون لغتنا ويدّعون حب الوطن والوطنية لا يهدأ لهم بال حتى يخربوا علينا تاريخنا وذلك لعلمهم بأنه لم يبق لهذا الجيل إلاّ تاريخ أجداده وآبائه الذي يتشرف ويعتز به، بعدما دمّروا علينا "الجغرافيا" أي واقعنا المعاش اليوم وذلك من خلال

التدهور والتقهقر في كل الميادين وهذه البطالة التي يعيشها الشباب والمستقبل المجهول الذي ينتظره.

لاحظت في ذكرى وفاة الرئيس هواري بومدين رحمه الله التي مرّت علينا قبل أيام قليلة كيف تذكره وترحم عليه شباب اليوم الذين لم يعرفوه أبدا ولم يعيشوا لا سياسته الاجتماعية ولا الثقافية ولا الثورة الزراعية، لكن حبهم وتقديرهم له أنهم وجدوا فيه رجولة المسؤول الجزائري التي يبحثون عنها، لقد قرؤوا وسمعوا عليه الرئيس المتواضع والقريب إلى الشعب وخاصة لطبقة الفلاحين وحبه لهم، بل ووصل الأمر لأحد الدكاترة أن علق على صفحته في الفايس بوك بأنه معجب بنظرة "خزرة" الرئيس التي أخافت كل المسؤولين، ألا يدل هذا على أننا شعب لم يبق له إلاّ تاريخه كنافذة أمل نطل منها، لكن هناك من يريد حقدا وكرها أن يغلق علينا هذه النافذة حتى نموت بالحسرة والألم!؟.

الاتهامات التي صدرت عن هذا السياسي السابق ليست بالجديدة وهي تصريحات تكاد أن تكون معروفة عند العامة والخاصة، لكن من غير المقبول أن يُتهم بن بلة ومصالي الحاج وبومدين وبوصوف وغيرهم بهذه التهم وكان من المفروض أن يبحث في هذا التاريخ المتشعب والكبير المختصين والباحثين لأننا نعلم ومن مختلف التجارب العالمية عبر التاريخ بأن القوي هو الذي يكتب التاريخ ويثبته في عقول الأجيال من خلال المدرسة وعبر الصحف والتلفزيون ومن خلال الجمعيات المساندة.

لو كان المنتصر هم جماعة مصالي الحاج أو عميروش والسي الحواس أو الشهيد لطفي وغيرهم رحمة الله عليهم جميعا بدون استثناء لكان التاريخ قد دُرّس وكُتب بطريقة مغايرة تماما لما هو عليه اليوم.

ولهذا فنحن جيل الاستقلال نستنكر كل هذا العبث بتاريخ الأمة الجزائرية ونستنكر عملية تشويه رموز هذه الثورة المباركة ونستنكر العبث بهذا الأمل الذي مازال يتقد في قلوبنا حتى نتقوى على الحاضر والمستقبل الوعر الذي وضعونا فيه.. حاضر مليء بالفساد والسرقات والتخلف في جميع المجالات ومستقبل لا نرى له أي أمل أو حقيقة.

إن أهم شيء نتمناه ونطالب به هو أن يكتب هذا التاريخ كتابة صادقة وبعدها أن يُعاقب كل من تسوّل له نفسه تشويهه أو قذف صُنّاعه، وأهم من كل هذا أن نترك هذا العمل للمختصين وأن نفكر في "الجغرافيا" أي في واقعنا المعاش بعد نزول أسعار البترول ونفكر في الحل السياسي لمشكلة الحكم عندنا.. أن نعمل على محاربة الفساد والمفسدين وأن نعيد الكلمة للصحفيين وللكتاب ونعيد لهم حقوقهم المهضومة.. علينا أن نعيد هيبة البرلمان الذي يناقش ويقنن شؤون الناس ويدافع عن حقوقهم وأن نرمي جانبا برلمان "الحفافات" ورافعي الأيدي دون حياء.. لابد من التفكير بكل جدية في مستقبل هذا الوطن ومستقبل الأجيال وحمايته من كل الأخطار المحدقة به.. وليعلم كل مسؤول بأنه إن لم تفعلوا ذلك فلكم التاريخ بكل جزئياته وفصوله وأخطائه ولنا الجغرافيا وسنبنيها بطريقتنا الخاصة وكما نريد نحن وبعيدا عنكم.

الحوار ودوره في صناعة الأجيال واستقرار الأوطان

بعد فسحة جميلة ليلة البارحة في المدينة.. أين رميت بما يسكن عقلي وما يثقل كاهلي من تعب وجهد أسبوع كامل من العمل والجهد.. عدت إلى المنزل عن طريق "الميترو".. جلست في مكان هادئ لوحدي أتمعن تارة في جموع الركاب.. وأنظر تارة أخرى إلى هاتفي النقال لأقرأ ما يتجدد في هذا العالم الفسيح من أحداث وأحاديث.!!

وفي إحدى المحطات ركبت امرأة متقدمة في السن وجلست في المقعد الذي يقابلني.. وبعدما واصل "الميترو" رحلته بدأت هذه الجدة تتحدث مع طفلة صغيرة قد لا يكون سنها قد تجاوز السبع سنوات كانت تجلس مع والدتها على ما أعتقد نظير مقعدنا في الجهة الأخرى.

استرسل المتحدثان في حديثهما وكأن لا فرق بينها في السن أو في رجاحة العقل وفي فهم الحياة.. كان الحديث هادئا وراقيا.. مفعما بالاحترام والتقدير.. تنطبق عليه كل شروط الحوار الناجح والنافع.. وقد استمتعت كثيرا بكل جملة وفكرة نطقا بها.

ثم في لحظة من لحظات تلك الحوار غبت في عالمي الداخلي.. ورحت أحدث عقلي الباطني وكل جوارحي وأسأل نفسي عن هذه المحادثة الجميلة ودورها في صناعة جيل يثق في نفسه ويحترم ذاته ويستطيع التعبير والدفاع عن حقوقه!؟.

ثم تذكرت معاملة الأطفال في عالمنا العربي والإسلامي من طرف الآباء والإخوة وما يجدونه من تعنيف وقهر عندما يريدون التعبير عن شيء بداخلهم أو اعتراضهم عن أشياء لا يقبلونها.

الطفل في مجتمعنا لا يسمح له بالكلام للأسف الشديد.. وإذا ما أراد أن يتكلم ويشارك الحضور برأي أو مداخلة إلاّ ويطلب منه السكوت وأن الأولوية في الحديث تعود للكبار وفقط..!! فيكبر الأطفال ضعاف الشخصية يسودهم الشك والخوف والارتباك عند أول محطة يقفون عندها من أجل الحديث إلى غيرهم.

الطفولة في مجتمعاتنا يمارس عليها مبادئ الأنظمة الديكتاتورية والقمعية دون بصيرة من المجتمع، وفي كثير من الأحيان تمارس هذه العادات السيئة من طرف عائلاتهم والأقرباء وذلك من عدم إعطائهم فرصة الحديث والاستماع إليهم ومشاركتهم الحوار ويحدث كل هذا بحسن نية ومن أجل مصلحة الأطفال لأن العائلة بمفاهيمها الخاطئة تظن بأن إسكات الطفل ومنعه من التدخل في أحاديث الكبار هو في مصلحته.. بل وأشد من هذا فإننا نجد نفس هذه المعاملات في الوسط التربوي يمارسها المربون والمعلمون..!!

إن الطفل الذي يحسن الحديث ويستمع إلى كلامه ويتحاور معه في أفكاره يكبر واثق النفس.. لا يهاب الحوار ولا يخاف الحديث مع الناس.. يشارك بآرائه.. يستمع ويتقبل آراء الآخرين.. يؤمن بقدسية الحوار ودوره في تبادل الآراء وفي حل مشاكل المجتمع.. يؤمن بأن الحوار هو السبيل الوحيد لبناء مجتمع هادئ ومتسامح!!.

أما إذا منع الأطفال من الحديث وأبعدوا عن الحوار ومشاركة العائلة في أحاديثها ومورس عليهم كل أنواع الضغط والعزل والقهر والتخويف من إبداء الرأي فإنه سينتج عن ذلك شبابا ورجالا وسيلتهم الوحيدة في التعبير هي الغضب والصراخ واستعمال القوة البدنية.. فإذا عجز الفم عن التعبير لأنه لم يتعود على ذلك انطلقت الجوارح وأخذت زمام الأمور في تبليغ الفكرة.!!

لا بد إذن من تربية أخرى لأطفالنا.. نستمع إليهم ونعطيهم فرصة الكلام والتعبير عن ما في أفئدتهم وما في عقولهم.. لا بد من زرع الثقة في نفوس أطفالنا حتى نخلق جيلا متحدثا فصيحا يناقش الفكرة ويقدس الحوار.. فنحصد التسامح والاستقرار.. ونمتلك جيلا يبغض العنف والتشدد ويجرم سبل الوصول إليهما.

الحياة لحظة أمنية

كنت لأسأل أصدقائي وزملائي وحتى الجيران -قُبيل بداية كل عام جديد- عن أمنياتهم وما يريدون تحقيقه، فوجدتها تختلف من شخص لآخر، منها من يريد زيارة بلد ما، أو إتمام دراسته في تخصص ما، أو شراء سيارة أو منزل، ومن يريد أن ينقص من وزنه وممارسة رياضة تسلق الجبال، ومن يريد أن يغير عمله أو مكان إقامته أو نشاطه التجاري.. الخ، لكن، وأنا أتمعن في هذه الأمنيات، وجدتها أقرب إلى التخطيط المدروس المبرمج أكثر منها أمنيات يتمناها المرء دون رغبة ودون عمل.

والحقيقة هذا من أهم الفوارق التي بيننا وبين المجتمعات الغربية، فأمانيهم تخطيط وعمل، أمّا نحن فأحلام وكلام، هم مدركون لواقعهم ولحاجياتهم، أمّا نحن فغير واقعيين وفي أحسن الأحوال لا نحسن ترتيب أولوياتنا، ثم نسأل بعد ذلك: أين الخلل؟ لماذا لم نتقدم في حياتنا الخاصة رغم مرور أعوام وسنوات؟!

هي ثقافة لابد أن نتحلى بها، أن تكون لنا أمنيات نعمل جاهدين على تحقيقها، أمنيات على المستوى الشخصي أو الجماعي، أن يخطط كل واحد منا لنفسه، أن يكون له طموح وهدف، نستمر في سعينا وجهدنا حتى نحقق أحلامنا رغم الصعاب والعقبات، رغم ما نعيش من مشاكل اجتماعية وسياسية.

إن الحياة لحظة أمنية، فإذا غابت الأمنيات غاب ذوق الحياة، وإذا غاب ذوق الحياة أصبحت لا معنى لها، وهذا هو حالنا وحال الكثير من شبابنا. أظلمت الدنيا بين أعينهم، وعوض أن يتحلوا بالصبر والمصابرة، استكانوا لذلك الظلام فعاد عليهم بالسلب، قتل فيهم روح المبادرة والسعي نحو الأفضل... فكان المصير الوقوع في حضن جماعات السوء، والمخدرات، والأقراص المهلوسة، والآفات الاجتماعية بمختلف أنواعها، فزاد حالهم سوءًا .

لابد من الأمل والعيش به والسعي له، فلا حياة بدونه. لابد أن نذهب للعام الجديد وكلنا طموح، أن تكون لنا أمنيات ولو بسيطة، أن نجعل من مستقبلنا أفضل من ماضينا، أن نتطور يوميا، كل ساعة وكل لحظة، فكل عام وأنتم بخير، عامكم سعيد، حقق الله كل أمانيكم، ولنتذكر: الحياة لحظة أمنية.

الرياضة لأطفالنا

ربما الصوت الأضعف في مجتمعاتنا هو صوت الأطفال، وإذا فكرنا في الاستثمار فهم آخر من نفكر فيهم، وإذا فكرنا في الاستثمار فيهم فأول ما يتبادر إلى أذهاننا هي الدراسة، وبالتالي توفير المال من أجل الدروس الخصوصية، التي أصبحت عبءا كبيرا على العائلات، وسوقا فوضوية لكل من هبّ ودبّ، وجب التحكم فيها ومراقبتها ودراستها دراسة شاملة ومتأنية حتى تكون عامل بناء وليس عامل هدم.

والاستثمار في الأطفال كما يشير إلى ذلك المفكر مالك بن نبي رحمه الله يبدأ في اللحظة الأولى من ولادتهم، وهذه إشارة جد مهمة من مفكر له تجارب وثقافة واسعة بشعبين يختلافان حد التناقض، وقدرته الفائقة على استخدام المنهج المقارن والمعرفة العميقة بأسباب نهضة شعوب وتأخر أخرى.

والاستثمار في الأطفال له أوجه عديدة ومجالات شاسعة والذي أردت أن أؤكد عليه في هذا المقال، هو الاستثمار في مجال الرياضة، فبحكم الانتشار الواسع للتكنولوجيا وحالة القلق التي تسكن الآباء والأمهات والمخاوف من الشوارع التي لم تعد آمنة والاختطافات المتكررة للأطفال التي تصدمنا من حين لآخر بسبب نهاياتها المأساوية، أصبح غاية أولياء الأمور أن يبقى أطفالهم معظم الوقت بعد نهاية اليوم الدراسي وحتى في العطل المدرسية في المنازل، بين أربع جدران، وحيدين في غرفهم غارقين في عالم الشبكة العنكبوتية، لا أحد يدري ماذا يفعلون ومع من يتصلون وفي أي غرف الظلام يتحركون، المهم هو أن

الأولياء راضون، فهم يشعرون بالأمان لأنهم بينهم، أما عدا ذلك فلا يهم، وهم لا يدركون للأسف أنهم لا يرون ولا يملكون منهم إلاّ أجسادهم، أمّا عقولهم وأحاسيسهم ورغباتهم وقدوتهم واهتماماتهم فقد أصبح بتحكم فيها آخرون، مجهولون لا أحد يعلم عنهم شيئا.

ولهذه الأسباب ولأسباب أخرى عديدة وعميقة سنتناولها بحول الله في المستقبل في مقالات أخرى عن هذه الظاهرة الخطيرة، جاء الاستثمار الرياضي، فالرياضة تجعل الطفل أكثر حضورا، وأقوى تركيزا، وأشد ذكاء، تقوي ذلك الرابط المهم بين العقل والجسد، تزيد من ثقتهم بأنفسهم، وتجعلهم أكثر نشاطا تنمي بنيتهم الجسدية، وتدفعهم دوما إلى تحقيق الأحسن وتساعدهم في دراستهم، وتكون جدارا مانعا بينهم وبين غرف الظلام المنتشرة كالنار في الهشيم في الشبكة العنكبوتية التي تترصد البراءة، كما أنها، أي الرياضة، التزام وأخلاق ومجال لصدقات حقيقية، وشهادة إضافية إلى جانب شهادة الدراسة تفيد صاحبها في المستقبل لولوج عالم الاحتراف والتدريب.

وكل الرياضات تحقق تلك العناصر الإيجابية التي ذكرت لكن تبقى الرياضات القتالية والدفاعية أكثرها فائدة ونفعا لأنها تعتمد على الفرد، وتَطَّور الفرد فيها يكون مركزا وملاحظا وسريعا، وثمارها تستمر معه إلى أن يشيخ.

إني أكتب هذا المقال، وأنا جالس أشاهد عددا كبيرا من الأطفال يمارسون رياضة الكراتي، كلهم حيوية ونشاط، اليوم هو يوم امتحان من أجل نيل حزام متقدم، تركت مكان ركن السيارات ممتلئا عن آخره، الأولياء يتابعون التدريبات بحب

تغمرهم سعادة غامرة، جاءوا يساندون أطفالهم، يدعمونهم يرافقونهم في هذه الفترة الحساسة من حياتهم، يستثمرون في أطفالهم، إنهم يبنون الجيل الذي يواصل مسيرة البناء، بناء الحضارة والإنسان الذي تطلبه فلسفتهم ونظرتهم للحياة.

لقد أصبحت رياضة الأطفال استثمارا مهما ومفروضا في الدول المتقدمة، في اليابان والصين ودول غربية عديدة، ليس فقط كمادة أساسية في الدراسة وإنما استثمار يومي وثقافة مهمة جدا وعادة حسنة الكل يطلبها ويشجعها، ولهذا وجب علينا أن نتدارك هذا، وأن لا نركز فقط على الدروس الخصوصية ونعتقد بأنها الاستثمار الحقيقي، وعلى الأولياء الانتباه وتقديم الجهد لمساعدة أطفالهم، فإن فوائدها كبيرة وثمارها طيبة آجلا أم عاجلا، وقد صدق عمر بن الخطاب يوم قال: علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل. وللأولياء أن يختاروا لأولادهم الرياضة التي يميلون لها ويرغبون في ممارستها.

السويد والذكاء اليدوي

لقد كانت لي فرصة أن زرت في إطار دراستي بعض الثانويات التقنية في السويد، وقد رأيت بأم عيني الإمكانات الكبيرة المتوفرة من أجل تكوين شباب يكونون على دراية كبيرة بالعمل الذي سيؤدونه في المستقبل، في كل التخصصات والميادين التي يحتاجها سوق العمل، تكوين يد عاملة مؤهلة وذات كفاءة عالية.

والسويد في حقيقة الأمر رائدة في هذا المجال، ولها اختراعات عديدة غزت كل العالم، والقليل الذي يعرف بأنها من اختراع عقل ويد سويدية. وعلى سبيل المثال: السحّاب أو مثل ما نسميه نحن بالدارجة "السانسور" الذي لا يخلو سروال أو "جاكت" منه، كذلك فأرة الحاسوب، والمفك المتدرج clé à mollet والدحارج الميكانيكية (les roulements) التي أحدثت بها السويد ثورة صناعية كبيرة، وأجهزة الاتصالات السلكية... الخ، وأهم اختراع كما يعلم الجميع هو مادة TNT التي اخترعها من سميت على اسمه جائزة نوبل، مادة TNT كانت المنعرج الذي تقدمت به الإنسانية في مجالات عديدة، مثل: شق الطرقات وحفر الخنادق وحفر الأنفاق لوضع السكك الحديدية للميترو... طبعًا هذا إذا أخذناها من جانبها الإيجابي، لأن TNT حدثت بسببها كذلك كوارث إنسانية في المجال العسكري والحروب، وهذا ما جعل (ألفريد نوبل) يوصي بأن تستثمر أمواله وتبقى وقفا فقط للعلماء اللذين يكتشفون أشياء تفيد الإنسانية، ومن هنا جاءت فكرة جائزة نوبل للاختراعات العلمية والأدبية وكذا للسلام.

الحديث عن اختراعات السويد عديدة ويصعب حصرها في هذا المقال لأنها مست جميع المجالات، كما أنها كانت القاعدة لاكتشاف وتطوير صناعات أخرى لعلماء آخرين في بلدان أخرى.

والتعليم في السويد يعتمد كثيرا على الذكاء اليدوي أكثر منه على الحفظ والتلقين الذي لا يأتي بأي فائدة، حيث نجد في المتوسطات ورشات عديدة لتعلم النجارة وفنون التركيب وإصلاح الآلات والكثير من الأشغال اليدوية التي لا تفرق بين طفل وطفلة.

وعندما تتابع أطفال السويد عندما يفتحون الهدايا التي تقدم لهم مثل اللعب، فإن أول ما يفعله الطفل هو أنه ينظر إلى الورقة التي ترفق اللعبة، حيث يوجد عليها رسومات تبين كيفية تركيب اللعبة التي بين يديه، وهكذا عرفت شركة IKEA لبيع الأثاث المنزلي الرائدة والمتواجدة في كل أنحاء العالم، حيث تجد مع الخزانة أو السرير أو المكتبة ورقة مرسوم عليها بيانات كيفية تركيب هذه الخزانة أو المكتبة أو السرير.

وحتى في أزمة كورونا هذه، تقول البيانات بأن نسبة المبيعات من الآلات اليدوية والخشب والبراغي وكل ما يحتاجه العامل في البيت ارتفعت، وذلك من أجل استغلال فرصة البقاء في المنزل لإنجاز بعض الأعمال المنزلية، وهذا مما يدل على ولع هذا الشعب بالعمل اليدوي وكذا هواية إعادة تركيب السيارات العتيقة.. ففي كل منزل هناك ورشة عمل.

وما وصلت إليه السويد هو في حقيقة الأمر نَتَاج فلسفة مدروسة تبنتها السويد منذ عشرات السنين، وهو الاعتماد على موهبة العقل وتشجيع الأعمال اليدوية أكثر من البقاء في

النظري البعيد عن الواقع، وأفضل لعبة يفضلها الصغار والكبار هي لعبة الليغو لأنها تعتمد على الذكاء وعلى القدرة على التركيب والتفكيك.

وفي اعتقادي الشخصي، لابد من تبني مثل هذه النماذج في منظومتنا التعليمية حتى نخلق جيلا يعشق الاختراع والعمل اليدوي، فالعقول موجودة والطاقات متوفرة وكذا الذكاء اليدوي، فقط ربما الذي ينقصنا هو التأطير والتثمين والاعتراف وإذا فعلنا فحتما في وقت وجيز سنشهد عدة اختراعات من صنعنا بعيدا عن التقليد والسرقة عن الآخرين، وحتى لا يبقى تصديرنا للعالم مقصورات فقط على النفط والغاز ودقلة نور.

السويد.. والمرأة المحجبة

بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر كنت أعتقد بأن الحريات الدينية ستتقلص بشكل كبير في السويد، وأن الشعب ستزيد فيه العنصرية بل وستظهر للعيان بشكل جلي، وبأنه لم يعد للجالية المسلمة عموما أي مستقبل في هذا البلد.

لكن شيء من هذا لم يحدث، فالسلطات السويدية والسواد الأعظم من الشعب أدركوا الذي حدث بسرعة واستطاعوا أن يفرقوا بين الديانة الإسلامية المتسامحة والتطرف الذي تمارسه بعض الجماعات من أجل حسابات ضيقة وتغذية لمصالح قوى عالمية، فشاهدنا بعد يوم الحادثة إقبال كبير من سويديين من أجل حماية المسجد الكبير، بعدما راجت أخبار بأن هناك عنصريين هددوا بعمليات متطرفة ضد المساجد وضد المصلين وقد استمر هذا التعاطف والتضامن لعدة أيام.

والمرأة المسلمة خاصة المحجبة لم تكن غائبة عن كل هذه الأحداث، فقد مسها هي كذلك ما مسّ عموم الجالية، بل وقبل هذه الأحداث كان ينظر لها بأنها كائن بشري مظلوم ليس له أبسط الحقوق وأن الحجاب الذي ترتديه مفروض عليها من زوجها وأنها الوحيدة من تقوم بأشغال المنزل وتربية الأطفال وأنها تخدم زوجها مثل ما يخدم الخدم السلطان في قصره.

لكن مع مرور الوقت، بدأ المجتمع يعلم بأن ذلك الحجاب هو من خيار المرأة المسلمة نفسها، وأن خدمتها لأطفالها وتربيتهم وإعطائها لهم كل وقتها هي رسالة تؤمن بها وأن زوجها يساعدها في البيت بالقدر الذي يستطيع خاصة وأنه يعمل كل النهار، وإذا

كان شغله هو خارج البيت فشغلها هي في البيت إذا كانت ماكثة فيه بطبيعة الحال.

وكنت أعتقد بأنه بعد تلك الأحداث لن نشاهد محجبات كثرٌ، لكن الواقع أثبت عكس ذلك، فقد زاد عدد المحجبات خاصة مع قدوم اللاجئين من سوريا، فأصبحنا نشاهد المرأة المسلمة المتحجبة في كل مكان، وعدد كبير منهن يعملن في مختلف القطاعات ويمارسن حقوق المواطنة لهن ما لهن وعليهن ما عليهن.

وفي السنوات القليلة الماضية أصبحنا نرى على واجهات محلات الملابس عرض لأنواع مختلفة من الحجاب والخمار ومن أهم الشركات العالمية التي قامت بهذا شركة HM للملابس.

فحضور المرأة المسلمة قوي في المجتمع السويدي، ولم تمنع من حقها في ارتداء الحجاب بل وحتى في ارتداء البرقع إن أرادت مثل ما حدث في دول غربية عدة خاصة فرنسا، وهي متواجدة كما قلت في العديد من قطاعات العمل خاصة في دور الحضانة.

قصة من الواقع، وهي لامرأة مسلمة متحجبة من أصول أردنية، تعمل في إحدى دور الحضانة، وقد أحبتها فتاة صغيرة من أصول سويدية، كانت هذه الفتاة تعاني من مرض مزمن ولابد أن تأخذ الدواء في وقت محدد، كانت المرأة المسلمة تتكفل بها بمحبة وعطف ورفق وكأنها ابنتها، وعندما انتقلت هذه الطفلة إلى السنة الأولى في المدرسة، سعت والدة تلك البنت بكل الطرق حتى تنتقل معها المرأة المسلمة لأنها حسبها الوحيدة التي يمكنها الاعتناء بابنتها، فراسلت السلطات في كل الجهات من أجل تسهيل عملية الانتقال لأنها لم تكن تملك شهادة تؤهلها

للعمل في المدارس.. وهذا دليل بسيط على التأثير الإيجابي المتبادل بين المرأة المسلمة المتحجبة وبقية أفراد المجتمع غير المسلم.

العقلية الأوروبية وحب صناعة الحياة

خرجت ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية منهارة ومنهكة القوى.. فلا بنية تحتية ولا مباني ولا مصانع تستقيم بهم الحياة.. عائلات تبيت في العراء.. الأرض فراشها والسماء غطاؤها.. شيوخ ونسوة وأطفال يميتهم الجوع وتفتك بهم الأمراض.

لقد كان حينئذ لألمانيا ولنخبها من السياسيين ورجال المال اختيار خيار واحد من خيارين كلاهما صعب التحقيق.. فإما إعادة إسكان الناس وحمايتهم من الأمراض ومخلفات الحرب.. وإما إعادة تحريك آلة التصنيع والدفع بالناس لبناء الحياة والتغلب على مشاقها وإلى أن يأخذ كل واحد منهم مصيره بيده.

ولأنهم أبناء الفيلسوف "كانت" القائل: "ليس من الضروري أن أعيش بسعادة ولكن من الضروري أن أعيش بشرف". والقائل أيضا: "عش حياتك كما لو أن كل تصرف سيصبح قانونا عالميا"، استطاعوا التغلب على حياتهم ورفعوا التحدي وتعود بعد ذلك ألمانيا قوية موحدة أعظم بكثير من سابق عهدها.. فهي الآن دولة قوية صناعية بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى.. وشعبها يعتبر الآن من أسعد سكان هذه المعمورة.

إن التجربة الألمانية وتجربة شعوب إسكندنافية جديرة بالدراسة ومعرفة جدا عقلية هذه الشعوب وفلسفتها وطريقة تفكيرها ونظرتها للحياة.

علينا أن نبحث جيدا ونعرف كيف استطاعوا بناء مجتمع متحضر محب لعمله مقبل على العلم والمعرفة محبا للآداب والفنون.. علينا أن نصل إلى السبيل الذي أوصلهم بأن أوجدوا

الإنسان الذي يحب وطنه بدون صراخ وبدون ترديد الأناشيد الوطنية.. إنسان يتقن عمله ويؤدي واجباته بكل احترافية ودقة.

علينا أن نسعى بكل جهد لنعرف كيف استطاعوا تكوين المسؤول الذي يعشق بناء دولته ويحافظ على المال العام وهمه الوحيد هو الرفع من شأن الوطن أمام الأوطان الأخرى.

لا أعتقد بأن الأمر يتطلب ذكاء قويا وجهدا كبيرا لكي نحقق ما حققته الدول المتقدمة.. فلنا من الإمكانات البشرية والمادية ما يمكننا من اختصار الزمن.. لكن الذي ينقصنا هي الإرادة السياسية الصادقة وأن يقوم المثقف بدوره على أكمل وجه.. وأن نصحح فهمنا للدين الذي جاء ليخدم الحياة ويوجهها لا أن يحنط العقول ويكتف الأيدي عن العمل والإبداع.

إن الإنسان الأوروبي الناجح هو نتاج عمل متواصل ودقيق يبدأ من البيت مرورا بالحضانة التي تغرس فيه المبادئ الأساسية للنجاح والاعتماد على النفس.. الحضانة التي تجعل الطفل يصرخ بأعلى صوته واثقا من نفسه وهو لم يتجاوز سن الثالثة: أبي.. أمي.. إني أستطيع فعل هذا.. وتستمر عملية زرع الثقة به إلى أن يصبح شابا.. وعندها يستطيع فعلا صناعة الوطن وصناعة الحياة وخدمة الإنسانية.

الغربة.. النظام والديمقراطية

يتساءل البعض، سواء في الجزائر أو حتى في بلاد المهجر، لماذا الجزائري في بلده الأصلي يقوم بسلوكات فوضوية مخالفة للقانون وللعقل وللذوق العام.. وعندما يهاجر إلى بلاد أجنبية وخاصة إذا هاجر إلى بلد غربي فإنه يلتزم بالقوانين وبالنظام ويصبح شخصيًا ديمقراطيًا أكثر عقلانية ويحترم الذوق العام؟!

في الحقيقة هذه إشكالية كبيرة، والأسئلة التي تطرح من خلالها: هل المؤسسات المكونة للنظام هي التي تخلق لنا أفرادًا ملتزمين ومنظّمين أم أن الأفراد هم الذين يخلقون لنا مؤسسات منظمة وديمقراطية؟.. وأيهما أكثر تأثيرًا في الآخر الأفراد في المؤسسات أم المؤسسات في الأفراد؟.

حتما هناك تأثير وتأثر بين الأفراد والمؤسسات التي تسهر على شؤونهم وشؤون الدولة، لكن من ناحية أيهما الأسبق فأعتقد بأن المؤسسة العاقلة والمنظمة هي التي تخلق لنا أفرادا منظّمين وديمقراطيين وفاعلين وإيجابيين.

والدليل أنه بعد وصول المهاجر إلى البلد الجديد فإنه يجد مؤسسات عاملة لها تقاليد ونظام صارم تتحرك فيه وهو ما عليه إلا الدخول في هذا "السيستام"، قبوله كما هو، ومسايرته بكل جزئياته، فيتحول ذلك المهاجر من مهاجر غير مبالي وفوضوي إلى مهاجر مسؤول ومدرك لعاقبة أفعاله وكل صغيرة يقوم بها، يجد قوانين صارمة ومجتمع غيور على بلده لا يقبل أي استفزاز ولا يتسامح في حقه، يجد منظومة متكاملة تعمل لصالح رفاهية المواطن وتحترم كثيرا الذوق العام.

ومسألة التنظيم والديمقراطية التي يعيشها الغرب ليست وليدة اللحظة وإنما لها سنوات طويلة من المد والجزر والتفاعل والبناء المتواصل، الديمقراطية في السويد يبدأ الفرد بتعلمها منذ نعومة أظافره ومنذ بداياته الأولى في الحضانة.

وعلى سبيل المثال لا الحصر، ومن صور الديمقراطية في دور الحضانة في السويد، يجمع المربون الأطفال، ثم يسألونهم أين يريدون اللعب اليوم؟ هل يخرجون إلى الحديقة أم يبقون في داخل المدرسة؟ حتما يختلف الأطفال بين الخيارين، مجموعة تريد الخروج وأخرى تريد البقاء، فيحسم المربون الموقف بعملية التصويت العلني، المجموعة المتفوقة عدديا يكون لها ما تريد. فيرضى الجميع ويشاركون في ذلك الخيار عن قناعة ورضا.

في الحقيقة ودون فلسفة كبيرة أو تعقيدات، فكل سلوك جميل في الغرب إلا وبُني واستثمر فيه لسنوات، فما يعيشه الغرب من نظام في الكلام والحركة والسياقة وفي التسوق ومن احترام لبعضهم بعضًا وحتى عطفهم على الحيوانات ومن نجاح للعملية الديمقراطية في كل المناسبات الانتخابية ومن دمقرطة في تسيير المؤسسات... إلا وكانت لها انطلاقة ونقطة تحول أسس لها مختصون وفلاسفة ومفكرون ومثقفون، جعلوا من العيش المشترك والمصلحة العامة الهدف الأسمى وجعلوا الحقوق والواجبات أهم ركائز المواطنة الحقة، ولهذا، لا نندهش من انضباط المغترب في البلد المستقبل له، فالضمير الجمعي أكبر من الجميع على حد قول عالم الاجتماع إميل دوركايم.

الفن والثقافة في حياة أصحاب المال

قد لا نختلف في جوهر الفكرة إذا قلنا بأن جمع المال من أجل لمه وضمه.. عده وتكديسه.. تخزينه وتكنيزه هو عمل مشين تنفر منه الأنفس رغم قدومها عليه وتبغضه الأعين رغم توقها له.. تمقته الأديان وتحذر من تضاعفاته وسلبياته الدراسات الاقتصادية العالمية.. كما أن أسباب انتشار الفقر والجرائم وتدهور أمن الدول والمجتمعات مرده عندما يصبح المال دولة بين الأغنياء.. أي عندما يصبح هو المسير والمسيطر.!!

أغنياء العالم الغربي من الذين فهموا معنى الحياة وفهموا قيمة المال ودوره في تحسين ظروف عيش الضعفاء والفقراء عملوا على استثماره.. فبنوا المصانع والمساكن والمتاجر.. وساعدوا المحتاجين والعاجزين عن العمل من خلال دفع الضرائب.. وساعدوا الأيتام من خلال التكفل بهم سواء عن قرب أو عن بعد.. وأعطوا العطايا والهبات للشعوب المحتاجة من خلال منظمات الإغاثة العالمية.

كما أن دورهم لم يتوقف عند هذا الحد.. فالعائلات الأروستقراطية في الغرب ساهمت مساهمة كبيرة في نشر الكتب والعلوم والثقافة ومختلف الفنون من مسرح وأفلام وثائقية وأفلام طويلة وقصيرة.

أما في مجتمعاتنا العربية والإسلامية فإننا لا نجد ذلك الأثر البالغ الذي يجب أن يلعبه الأغنياء.. فقد يساهمون بشكل محدود في مساعدة المحتاجين والفقراء.. خاصة في المناسبات

الدينية.. لكن مساهماتهم في بناء مجتمع مثقف وواعي ومتعلم فإنها تكاد تكون معدومة بل وقد لا تخطر على بالهم إطلاقا..!!

فكم من غني عندنا ساهم بماله في دعم فرقة مسرحية من خلال اقتناء لهم ما يحتاجون من إكسسوارات ومتطلبات المسرحية..!؟ وكم من غني في بلداننا ساهم في بناء المدارس في القرى والمداشر التي تنعدم فيها كل ظروف التعلم والتحصيل العلمي..!؟ وكم من غني ساهم في دعم كاتب فقير مبدع موهوب بنشر كتبه.. أو ساهم في تدعيم جريدة أو مجلة ثقافية.. أو بناء مكتبة في بلدية نائية..!!؟

قد يستغرب الأغنياء عندنا عند سماعهم لمثل هذه الأسئلة.. لأنه قد ترسخ في مفهوم الكثير منهم بأن كل الأعمال سابقة الذكر هي من مهام الدولة.. وهذا غير صحيح.. فنشر العلم والثقافة والفنون هي من مهام كل أفراد المجتمع.. ويتحمل الأغنياء المسؤولية الكبرى بحكم اليسر الذي يعيشون فيه.. والمجتمع يتطور ويزدهر وينعم بالرخاء والهناء وتتساوى بينه فرص الحياة عندما يتثقف ويتعلم ويتذوق كل أنواع الفنون.

وعندما نلقي نظرة سريعة وخاطفة حول الأغنياء في عالمنا العربي وخاصة في الجزائر نجد بأن جلّ هؤلاء من الأغنياء الجدد وأكثرهم يفتقد إلى ثقافة واسعة أو أنهم لم يعرفوا الحياة المدنية إلاّ في كبرهم.. فلا يمكن أن نطلب مِن الذي يشتغل في تهريب السلع والبنزين والسيارات والمواد الغذائية ومارس الاحتكار من أجل الربح السريع أو الذي باع أرضه وغنمه ورزقه واشترى قصرا في المدينة من أجل يشار إليه بالبنان ومن أجل أن يطفئ

نار الشعور بالنقص، لا يمكن أن نعول على أمثال هؤلاء لكي يكونوا رقما قويا في خلق حياة فنية وثقافية.

فكلامنا وأسئلتنا نوجهها إلى العائلات الغنية المثقفة والواعية.. العائلات الأروستقراطية.. العارفة بدور المال في تطوير المجتمع من خلال نشر الثقافة بكل فروعها.. لماذا لا تقوم هذه العائلات بدورها الحقيقي في هذا الاتجاه مثل ما هو حاصل في الغرب..!؟ لا أدري إن كنت أستطيع أن أترحم على العالم السويدي ألفريد نوبل والذي ستحل علينا بعد أشهر قليلة ذكرى وفاته عندما ترك ما جمع من مال وخصه بوصية كي تنفق كل الأرباح على رجالات العلم والمعرفة في كل الاختصاصات تشجيعا منه على البحث وعلى العلم ونشر الفنون وعلى استتباب السلم في كل العالم.. لا أدري إن كنت أستطيع أن أترحم على هذا العالم ولا أترحم على من جمع وخزن وصرف المال جريا وراء الفتيات ودخل بواسطتها بهو البرلمانات من أهل جلدتنا..!؟ فشتان بين الصنفين.

القراءة في السويد ثقافة

إن السلوك السوي لا يمكن أن يكون وليد اللحظة وكذلك هو السلوك غير السوي.. وإذا أردنا معرفة كيف حدث السلوك السوي فلابد من متابعة متأنية ودراسة متفحصة في ماضيه ومراقبته خطوة بخطوة حتى نقدر على الإلمام بكل الأسباب.

ومن السلوكات السوية والجميلة التي لاحظتها مباشرة بعد وصولي إلى مملكة السويد سلوك القراءة، وجدت مجتمعًا يقرأ في كل الأماكن، في الساحات العامة، وفي المقاهي، وهم يأكلون في المطاعم، أثناء انتظار الحافلات وفي الميترو.. والحقيقة لم أصدم بفعل القراءة في حد ذاته، فثقافة القراءة كبرت عليها منذ الصغر وأكيد هناك من يفعلها من المهاجرين، ولكن الذي أدهشني هو اتساعها وانتشارها والإمكانات الكبيرة المتوفرة من أجل دعمها.

وعندما أمعنت في هذا السلوك وجدته ليس وليد اليوم أو لسنوات قليلة إلى الوراء، وإنما هي ثقافة مترسخة بما يقارب المئة عام أو يزيد. فيكفي عندما نعرف بأن من الثقافة الراسخة في السويد أن الآباء والأمهات يُنوّمون أطفالهم الصغار على قراءة قصة من كتاب وأن نسبة الأمية عند الصغار والكبار هي صفر بالمئة ندرك عندها قصة سبب عشق هذا المجتمع لسلوك القراءة.

ليس هذا فقط، بل ومن العادات الجميلة في عيد ميلاد أطفالهم مثلا أن من بين الهدايا كتبًا تناسب أعمارهم، كما يوجد في كل بلدية مكتبة عامة تحتوي على جناح هام من كتب

الأطفال، ومن البرامج الراسخة في المدارس وحتى في دور الحضانة أن يزور الأطفال هذه المكتبات ويقوموا باستعارة كتاب أو كتابين حتى يتعودوا على ذلك، وحتى تترسخ فيهم غريزة حب الكتاب.

ومن الخصال الحميدة عند القارىء السويدي أنه لا يحتفظ أبدا بأي رواية يقرأها، فبعد الانتهاء من قراءة الروايات، يجمعها في آخر سنة ثم يعطيها إلى شركة غير ربحية تعيد بيعها بثمن زهيد جدا، وفي الكثير من الأحيان تجد روايات مكدسة في مكان عام كتب على ورقة وضعت فوقها: تفضل خذ هي الكتب إذا رغبت في قراءتها.!!

كما أن الكتب والروايات تباع في كل مكان بما في ذلك المتاجر التي تبيع المواد الغذائية، كما أن هناك مقاهي تحتوي على رفوف صفت عليها كتب ومجلات من حق الزبون أن يأخذ كتابا ليقرأه إذا أراد.

وفي كل مراحل التعليم تجد مادة القراءة لها مكانتها الخاصة تلاميذ يقرأون كثيرا، يحللون ويناقشون، ومن أجل الانتقال من سنة إلى أخرى خاصة في مرحلة الثانوي، لابد من قراءة العديد من الروايات باللغتين السويدية والإنجليزية وعرضها في القسم أمام الأستاذ والتلاميذ، فالتعليم في السويد لا يؤمن بالحفظ والاستظهار عن ظهر قلب كما هو التعليم عندنا.

في إحدى المرات كنت أجلس كثيرا في مقهى في الجزائر وبعدما تعرف عليّ صاحب المقهى أخبرني ذات يوم بأنه كان يتعجب من جلوسي في المقهى مرفقًا دائما بكتاب في اليد، وحسب قوله أنه رأى من يقرأ جريدة لكنه لم ير يوما في حياته من يقرأ كتابا في

مقهى، لكن الآن عرف السبب. كان يقصد بالسبب أني مغترب فقلت له يومها: يا صديقي، حقيقة ربما الغرب فاتنا بهذا السلوك، لكن تذكر جيدًا ولا تنسى أبدا بأننا أمة اقرأ وأن أول آية نزلت هي اقرأ باسم ربك الذي خلق، ولو فعلنا ذلك لقضينا على العديد من مشاكلنا ولكننا شعب هادئ وأكثر فاعلية.

المثقف الجزائري ومستقبل الوطن

بعد سنين أخرى في هذه الغربة.. وعند عودتي إلى موطني وإلى أهلي لن أستسلم للنوم ولن أسمح للوقت أن يضيع مني.. قد يكون إنجاز مشروع بسيط يجيب على أسئلة ما تزال عالقة في ذهني لم أستطع بعد أن أجد لها جوابا يشفي غليلي.

لن أستثمر في استيراد الزيت ولا القهوة ولا في أي صنف من صنوف الأكل واللباس التي يحتاجها الشعب الجزائري.. فهذه من اختصاص الجنرالات والساسة عندنا.. بل سأفتح مقهى رائدها المثقف الجزائري.. أناوله فنجان قهوة وبدل الثمن ورقة ليجيب عنها.. أين أنت من وطنك وشعبك أيها المثقف..!؟ وماذا صنعت بثقافتك وبعلمك!؟

الساحة السياسية في الجزائر تركت على مصرعيها للفاسدين والمفسدين.. هوة كبيرة بين الشعب وأصحاب القرار.. الشعب مغلوب على أمره.. يعاني الفقر والبطالة وكل أنواع القهر والحرمان.. الشباب يعيش على هامش الحياة.. فلا هو بالحي ولا هو بالميت.. الأيام تغادر متتاليات ومتشابهات فلا فرق بينها.. ولا طعم ولا رائحة لها.

لقد عمّ الفساد وانتشرت الرشوة والمحسوبية في كل قطاعات ومؤسسات الدولة.. التنمية الإقتصادية متوقفة.. والشعب يأكل ويشرب من فتات اقتصاد الريع وما يدخل الخزينة من مبيعات البترول والغاز.. الجامعات الجزائرية لا تصنيف لها بين جامعات الجزائر.. والعاصمة الجزائرية في المرتبة ما قبل الأخيرة في تصنيف أسوأ المدن عيشا في العالم.

نقول هذا بكل أسف.. نتأسف على بلد الشهداء وعلى تضحيات المخلصين والرجال الذين ماتوا وقدموا النفس والنفيس من أجل استقلالنا.. نتأسف إلى حد البكاء والصراخ والعويل لأننا بعد خمسين سنة من الاستقلال فشلنا في بناء الإنسان الذي يصنع الحياة ويعلو بالوطن.. نتأسف ونضرب برؤوسنا عرض الحائط حتى تنزف دما لأن دولة كوريا الجنوبية لها من سنوات الاستقلال ما لدينا.. فأين كوريا الجنوبية وأين نحن.!؟

أمام كل هذا وكل هذه الأحداث المزرية والمقيتة نسجل غياب المثقف الذي فضل الهروب والانزواء والصمت الطوعي.. وصنف آخر فضل زواج المتعة مع سلطة عاهرة يبيت بين أحضانها تنفق عليه ويبيع لها حسن الكلام ونشر الزيف وشهادة الزور وكتم الحقائق.

المثقف الجزائري باع قضيته وخان شعبه ووطنه.. فلم نعد نجد من يقول لأولئك الخونة توقفوا عن جرّ الوطن إلى الهاوية.. لم نعد نسمع بذلك المثقف الذي يحاضر ويخطب ويحدث كل شرائح المجتمع وطبقاته عن مصيرنا وعن أي مستقبل ينتظرنا أمام هذه السياسات العشوائية التي يتبعها أصحاب القرار.. أين هو المثقف الذي يفضح ذلك التحالف الحاصل بين المال الفاسد والحكم غير الراشد.

المثقف الجزائري ما يزال يعيش صراعات هامشية لا تسمن ولا تغني من جوع.. ما زال يجيب عن سؤال: من الأفضل بيننا.. هل المثقف الذي يتكلم الفرنسية أم الذي يتكلم العربية..!؟ ..أو أنه يعيش طوبائية المصطلحات وسادية المعاني والنصوص التي

يستعملها حتى لا يعي كلامه أحد.. فبهذا يصبح مثقف عليّ المقام لا أحد يصل إلى عليائه ويطلع على ما في عقله.

أتمنى أن يستيقظ المثقف من غفوته وأن يعود إلى رشده وأن يؤدي رسالته على أكمل وجه حتى يصحح ما يمكن تصحيحه وحتى يُستدرك ما يمكن استدراكه.. فلا بد أن تعود الكلمة الصادقة لتطرق مسامع الناس.. ولابد أن يخط القلم ويسجل شهادته.. لابد من ثورة حقيقية يقودها المثقف بعقله وعلمه حتى ترمي بالفاسدين والمفسدين من أصحاب القرار والمال الفاسد خارج الوطن وفي مزبلة التاريخ مع من سبقوهم.

المدينة الجزائرية.. إلى أين؟

تعتبر المدينة من أرقى ما توصل إليه الإنسان من أجل حياة اجتماعية منظمة ومتطورة، حيث كتب عنها فلاسفة مثل (أفلاطون) وكان حلمه أن يحكمها الفلاسفة أنفسهم، كما كتب عنها ونظّر لها علماء اجتماع عديدون من أمثال (دوركايم) الذي بجلّها ورفع من قيمتها ووضعها في مقام النموذج المثالي لأنه بها يتحقق التضامن العضوي والرخاء والحرية، وآخرون من أمثال (وورث) ركزوا على الوجه البائس فيها، لأنه حزب زعمهم فإن المدينة هي الأرض الخصبة لكل الجرائم والانحرافات والأمراض الاجتماعية المختلفة.

ولهذا فإن اهتمام الإنسان بها بدأ منذ قرون، فأبدع في تشييدها وتزيينها ووفّر فيها كل وسائل الراحة ووضع قوانين تسهر على تنظيمها، حثّ على نظافتها وجهزّها بأجهزة متطورة ووسائل للإتصال والتواصل وأماكن للاستجمام والأفراح ومرافق عامة للاجتماع والالتقاء.. مما قرب الإنسان بأخيه الإنسان ورفع من عملية التفاعل في المجتمع إلى أن أصبحنا نتحدث اليوم عن المدينة الذكية.

لكن يبدو أن الأمر مختلف بعض الشيء عندما نتحدث عن مدننا، فلا هي أرياف ولا هي قرى ولا هي مدن بالمعنى الحقيقي للكلمة ولا هي أشباه مدن، لا هي مدن ذكية ولا غير ذكية، يبدو لك الأمر في لحظة ما أنك في المدينة، لكن سرعان ما تكتشف أمام أبسط الحاجات والضروريات وجهها التعيس وعنفها الخفي وواقعها البشع وثقافتها المشوهة، فتدرك أنك بعيد كل البعد

عن المدينة وعن ثقافة المدينة وما توفره لسكانها ولزوارها من خدمات وراحة، فتصاب بالإحباط ويمتلكك التذمر والغضب الشديد بل والقسم بأغلظ الأيمان بعدم العودة إليها.

أخبرني صديق مقرب ذات مرة أنه أخذ أمه في جولة إلى إحدى مدننا الكبرى، وعندما تطلب الأمر أن تستعمل المرحاض لقضاء حاجتها حيث كان الأمر مستعجلا لم يجد مرحاضا عموميا واحدا في طريقه مما خلق ذلك مشكلة عويصة له ولأمه المسنّة.

صديق آخر زار ذات صيف الجزائر مع زوجته الأوروبية وطفليه، حيث دخلوا إليها برا من الحدود الشرقية بعد قضاء أيام عند الجارة تونس، قال: كانت الأمور تسير بشكل جيد طيلة العطلة، وبعد دخولنا الحدود أردنا قليلا من الراحة، فلم نجد مكانا مناسبا لا للراحة ولا لقضاء الحاجة، فما كان من ابني الأصغر إلا أن قال لي ملاحظة سقطت عليّ كالصاعقة: يا أبي إني أرى بأن تونس أفضل من الجزائر.!!

حادثة أخرى ترويها الكاتبة الجزائرية أحلام مستغانمي في زمن الرئيس الشاذلي بن جديد رحمه الله، حيث كانت مع ضيوف من مثقفين عرب باسم الرئاسة في أحد الفنادق الفخمة، وعندما تأخروا في تقديم العشاء للضيوف ذكّرت النادل بأن يسرع فهؤلاء ضيوف رئيس الجمهورية ولا يصح التأخر عليهم، فما كان من النادل إلا أن قال لها: اذهبي وأحضري الرئيس يقدم لهم العشاء بنفسه.!!

أما أيام عاصمة الثقافة العربية التي احتضنتها قسنطينة فلم يكن الضيوف العرب وغير العرب ليجدوا مطعما واحدا مفتوحا بعد الساعة السابعة ليلا.!

هذا غيض من فيض، فالقصص المتشابهة كثيرة وعديدة وهنا تتجلى بوضوح أنانية المدينة التي شيّدنا وبخل ساكنيها أمام زوارها، بل وبخلها حتى مع قاطنيها.

أما من جهة أخرى، وحتى تتضح الصورة أكثر، وبمقارنة بسيطة مع مدن أخرى في العالم، من حقنا أن نسأل: لماذا لا تتوفر مدننا على مكتبات عامة في كل بلدية؟ على مسارح ومسابح في كل مدينة؟ على ملاعب، وعلى دور الشباب، وعلى مدن للعب الأطفال، على حدائق وأماكن للترفيه؟ أماكن يقضي فيها الأزواج مع زوجاتهم وأطفالهم القليل من الراحة دون عنف ولا تحرش ولا سماع لكلام بذيء ساقط يصّم الآذان، مدن يُحترم فيها الإنسان وتُحترم فيها ثقافتنا وتقاليدنا؟.!!

إن ما يصيب مجتمعنا من أمراض اجتماعية وضغوط نفسية وملل وكره وعدم قدرتنا على السيطرة على أنفسنا في أبسط المواقف، وانتشار للعنف وانحراف وصدامات عنيفة بين الشباب، والتعدي على بعضنا البعض ليلا ونهارا والكره الذي نقرأه في أعين بعضنا البعض والذي أصابنا حتى في المواقع الافتراضية دون سبب وجيه.. الخ من أهم أسبابه هو عدم تجهيزنا لمدن حقيقية عصرية تتناسب مع حاجاتنا ومتطلباتنا والكثافة السكانية المتزايدة، مدن كغيرها من مدن العالم، ليلها كنهارها، نشاط دؤوب وعمل مستمر وأمن دائم، مدن نسكنها

وتسكننا، تمتلكنا ونمتلكها، مدن نفتخر بها ونروج لها سياحيا عربيا وعالميا، دون خوف أو خجل.

وحتى مسألة الهجرة غير الشرعية بواسطة قوارب الموت من طرف الشباب، هناك من يعتقد بأنها بسبب البطالة والعوز والبحث عن مستقبل أفضل، لكن في اعتقادي ليس هذا فقط فالشباب أصبح يهرب من الحياة الرتيبة المملة ومن الشعور المؤلم بالاغتراب في المدن التي يعيش بها، مدن تغلق أبوابها في أقصى توقيت على السابعة مساء وهو يرى مدن أخرى في العالم تنشط ليل نهار بل ولا تنام إطلاقا.

لنقولها بكل صراحة، وليسمعها مني كل مسؤول في هذا البلد، لقد بنينا حقا مدنا عديدة، مساكن وعمارات في كل مكان، شرقا وغربا، شمالا وجنوبا، لكنها للأسف، مدن في معظمها لا تصلح إلاّ للنوم ولبعض المشاوير الاعتيادية البسيطة كالذهاب إلى العمل والمدرسة والجامعة والمسجد، مدن أصبحت تُمارس ضغطها علينا وتنفخ خبثها فينا وهي سبب معظم مصائبنا. أين الباحثون في علم الاجتماع الحضري؟ أين المسؤولون؟ من يرفع عنا هذا الغبن ويجيب عن سؤالنا: المدينة الجزائرية.. إلى أين؟.!

المسلم المغترب قدوة

يقول بروفيسور سويدي لأحد زملائه الجزائريين في الجامعة وهو صديق لي أصيل مدينة الجزائر العاصمة بعدما جرى بينهما نقاش حول الإسلام: دينكم من الناحية النظرية دين عظيم، لا يشبه أي ديانة أخرى في العالم من حيث شموليته ومقاصده لقد وضع لكم منهجًا ينظم حياتكم في أدق تفاصيلها، إلا أنه من الناحية العملية، فأنتم المسلمون في الجهة المعاكسة لما يقوله دينكم.!!

كلام البروفيسور السويدي صحيح إلى حد كبير، يعكس معرفة العديد من الطبقة المثقفة في الغرب بالأفكار العامة التي جاء بها الإسلام، كما أنه حكم صائب عن واقع المسلمين عمومًا فالمسلمون يتحدثون كثيرا بالإسلام لكنهم لم يمسكوا منه إلا الجانب العقائدي والإيماني، الإيمان بالله وبالرسل والكتب والجنة والنار واليوم الآخر... أما المعاملات فكثيرًا ما يرتبط عدم إتقان العمل، والتزوير، والكذب، والغضب السريع، والفوضى والسرقة... بالمسلمين، وهنا لابد أن نتوقف ونطرح العديد من الأسئلة.!!

وعلى ذكر السرقة، فبعض المسلمين لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يأكلوا لحم الخنزير أو الإفطار في شهر رمضان، فهذا أمر محرم وحد من حدود الله لا يمكن التعدي عليه، لكنهم بالمقابل يفعلون كل المحرمات الأخرى دون حياء أو خجل خاصة فعل السرقة، وهذا مما يضع مصداقية المسلم عند المجتمع

الغربي على المحك، وفي حالة لا يحسد عليها تضر بدينه أولا قبل شخصه.

ولهذا فإن مسؤوليتنا نحن كجالية مسلمة في الغرب مسؤولية كبيرة، لأننا بتعبير آخر نمثل دين الله في بلاد الغرب فنحن مطالبون ليس فقط بإظهار إيماننا بالله، ولكن لابد من الالتزام الأخلاقي، فهذا الذي يعني كل شيء وهو الأهم، لأن مسألة الإيمان بالله اعتقاد يتشارك فيه العديد من المتدينين ومن ديانات مختلفة.

وحتى لا أكون ظالمًا أو قاسيًا على الجالية المسلمة في الغرب فهناك مسلمون يمثلون حقًا الإسلام بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، وهم إضافة حقيقية بمعاملاتهم وأخلاقهم وفهمهم الوسطي والمعتدل للإسلام، كانت كلها سببًا في دخول العديد من الذين لم يكونوا مسلمين إلى الإسلام.

ولأن الإقامة في بلاد الغرب لا تقتصر على العمل وجمع أكبر قدر من الأموال، فقد أصبح من الواجب الاجتهاد من أجل تقديم صورة جميلة عن ثقافتنا، وإبراز الجهات الناصعة البياض من ديننا لأنه مسؤولية في رقابنا طالما قلنا أننا مسلمون، وإثبات مدى قدرتنا على العيش في الغرب كمواطنين متحضرين نملك ثقافة عظيمة أساسها وعمادها الإنسان ووصالها حبل متين يربط بينه وبين السماء.

المهاجر الجزائري وقابلية اللا تغيير

أجريت في إحدى السنوات في مملكة السويد إحصاءات عن مدى تطور المستوى العلمي للمهاجرين بعد إقامتهم في المملكة فترة معينة من الزمن، وقد جاء في الترتيب الأخير من كل مجموع المهاجرين مهاجرو شمال إفريقيا تونس والجزائر والمغرب، وجاء في المرتبة الأولى الإيرانيون حيث يواصلون تعليمهم وتحصيلهم العلمي وأكثر اختصاص يختارونه بعد ذلك يكون إما الطب أو الصيدلة.

الجزائري على العموم لا يطور من نفسه ويبقى يعمل طول حياته في نفس العمل الذي يُعرض عليه في أول الأمر، لأن نية الهجرة عند الجزائري من أول يوم حمل فيها حقيبته هي من أجل الحصول على المال، ثم إذا استقر أكثر وأنجب أطفالا يصعب عليه بعد ذلك التفرغ للعلم ولتطوير نفسه خاصة وأن الحياة مكلفة في الغرب.

آثرت أن أكتب في هذا الموضوع نظرا لأهميته ولضرورته في الحفاظ على الأجيال التي تنشأ وتكبر في الغرب وكذلك لأهمية الجالية في تطوير وتحسين وضع بلدها الأصلي.

حقيقة مرة يجب أن نعترف بها وهي إذا لم يطور الآباء من مستواهم العلمي والثقافي في البلد الجديد فإن إشكالية شعور أبنائهم بالنقص وبالخجل أمام زملائهم وأمام الجيران والأصدقاء حاصلة لا محالة، أولا من اللغة التي لا يتقنها الآباء وثانيا من العمل البسيط الذي قد يشعر منه الأبناء بالنقص وهذه النقطة بالذات ظاهرة معروفة وواسعة الانتشار في فرنسا.

كما أنه بهذا المستوى الهين في التعاطي مع الهجرة والإهتمام فقط بتجميع الأموال ثم زيارة الأهل كل سنة من أجل التفاخر ببعض الألبسة الجديدة وبأشياء أخرى يعرّض الأجيال المولودة في المهجر إلى خطر الانقراض إذا صح هذا التعبير لأنه مع الوقت تتوسع الهوة الثقافية والمعرفية واللغوية بين الآباء وبين الأولاد وفي حالة إذا ما استطاع الآباء الحفاظ على هوية الأبناء فإن نجاحهم مع الأحفاد يعد أحد المستحيلات.

ومن سلبيات عدم قابلية الجزائري للتغيير في المهجر ومعرفة دوره هو الانعدام الكلي للثقافة الجزائرية، رغم بعض الجهود المعتبرة في دول جنوب أوروبا مثل فرنسا وإسبانيا لكن على العموم فإن الثقافة والتقاليد الجزائرية غير معروفة عند أكثرية شعوب العالم، بل لنقل وللأسف الشديد: حتى الجزائر كبلد غير معروف بأنه بلد سياحي يملك كل مقومات وعناصر السياحة الناجحة حيث أنه في يوم واحد يمكن السباحة وزيارة الصحراء وقضاء أوقات ممتعة مع الثلوج في جبال جرجرة.!!

ومن الآثار السلبية كذلك لعدم قابلية المهاجر الجزائري للتغيير من مستواه ومن طريقة تفكيره وتصحيح بعض عاداته هو شعوره بالضجر والقلق والخوف، لأن أكثرية المهاجرين الجزائريين في كل بقاع العالم لا ينتظمون في جمعيات ثقافية أو جمعيات رياضية لكي يتعارفوا فيما بينهم أولا ولكي تتعارف الأجيال الصاعدة كذلك على بعضها البعض لتصون هويتها ولغتها وتقاليدها وللتعريف بالبلد الأصلي لدى الجاليات والشعوب الأخرى، ولهذا فإن الانزواء في المنزل مع الأهل والأولاد وعدم تقاسم الحياة مع العائلات الأخرى من الجالية هي سلبية

سيندم كل مهاجر عليها عندما يكبر وينصرف من حوله الأبناء إلى حياتهم الخاصة.

ومما يحير في العقلية الجزائرية هنا في السويد على سبيل المثال، أن كل الجاليات أسّست جمعيات ثقافية أو رياضية أو خيرية تنشط تحتها وتحدث حركة اجتماعية بين أفرادها بما في ذلك الجالية الصومالية والإريتيرية عدا الجالية الجزائرية فلا أثر لأي جمعية عندهم رغم المحاولات المتكررة والمتعددة لفعل ذلك وهي مشكلة نفسية وعقلية يجب البحث فيها ومعرفة أسبابها.!؟

إن اللحظات السعيدة في بلاد المهجر هي عندما يخدم الإنسان نفسه وعائلته ويحافظ على أولاده ويوسع هذه الظاهرة ليخدم مجتمعه ودولته، عندها تصبح للغربة لذة وللحياة بهجة وللهجرة مقصد وغاية، فلابد إذن في هذه الغربة كما نعمل على تغيير حقيبة الملابس بملابس جديدة وجميلة أن نغير كذلك حقيبة العقل ونراجع ما علق بها من رواسب ونواقص.

الهجرة بين الأمس واليوم

هذه سنة هجرية قد مرت.. وها هي سنة أخرى تحل علينا والأمة الإسلامية تمر بمرحلة جد عصيبة في تاريخها، مثقلة بالهموم والمشاكل والصراعات الداخلية والخارجية، ووقوعها في مفاهيم جد خطرة تضرب روح دينها المتسامح وتقطع عنه أواصر التفكير التنويري.

هناك أسباب داخلية وأخرى خارجية أدت بهذه الأمة بأن تقع في هذا القاع العامر بالتخلف والجهل، وعلينا حتى لا يتشعب بنا المقال أن نترك الأسباب الخارجية لفرصة أخرى كي لا نتيه في الخروج بنتيجة واضحة المعالم تبين لنا أسباب هذا التخلف الذي نعيش.

لقد كانت هجرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وصحابته بأمر من الله، من أجل بناء مجتمع فاضل يقوم على العدل والمساواة والحقوق والواجبات، فكانت كل هذه النقاط الأسس الأولى لبناء الدولة الجديدة بقيادة محمد صلى الله عليه و سلم الإنسان والنبي، والذين يريدون أن يشيعوا بأن الهجرة كانت من أجل المال ومن أجل طلب الرزق ومن أجل مصالح خاصة فهذا تفكير غير سليم والغرض منه هو تشويه هذه الفترة الجميلة والإنطلاقة الجليلة والتقليل من هذا الفعل الشجاع والتدبير الرباني.

لابد بأن نعترف ونؤكد بأن هذا الجيل العظيم من الصحابة بقيادة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم استطاعوا بناء دولة العدل ودولة الأخلاق وصناعة سياسة راشدة وبفضلهم ازدهرت

الإنسانية في ذلك الزمان وقدموا لها على مدار ستة قرون أخرى أجمل وأعظم الأطروحات الفكرية والعلمية إلى غاية وفاة ابن رشد في القرن الثاني عشر الميلادي.

ثم دخلت الأمة بعد ذلك في رحلة عميقة وطويلة من الانحطاط والتخلف، وأهم ما ضاع من الأمة في هذه المرحلة هو الفهم الصحيح للدين الإسلامي ودور الحياة الروحية والعملية والعلمية فيه في تطوير وازدهار الإنسان، فألصقت به الكثير من الأفكار السيئة نتيجة لظروف سياسية صراعية مختلفة ومفاهيم خاطئة جعلته دين كهنوتي مليء بالإعتقاد التخلفي تتحكم فيه رغبات شعبوية، ففقد بذلك روح التجديد والتفكير السديد فانزوى العلماء والفلاسفة والفاعلين الاجتماعيين في دراسات ومناقشات تافهة لا تقدم بل زادت الأمة تخلفا وتراجعا.!!

وفي الوقت الذي كنا ننتظر فيه عودة جديدة للأمة الإسلامية خاصة بعد انتصاراتها التاريخية على المستعمر الغربي الذي زاد في عمق تخلفها وجهلها وقتل فيها روح الإبداع والتفوق، في الوقت الذي كنا ننتظر من أن تكون إشراقة الاستقلال من أجل إعادة الأمل للشباب ونفض غبار التخلف والجهل هاهي دول الاستقلال تسير بشعوبها نحو طرق مسدودة فضاعت فرص النجاح وإعطاء الثقة في الشباب لصناعة المستقبل بيده وبذّرت خيرات الأمة فنتج عن ذلك هجرة أخرى، هجرة أبناء دول الجنوب نحو دول الشمال.!!

هي هجرة أخرى يسجلها التاريخ العربي والإسلامي بكل أسى وحزن، لم تكن أبدا مثل الهجرة الأولى، فهجرة اليوم من أجل خبزة العيش ومن أجل العيش الكريم ومن أجل البحث عن نمط آخر للحياة.

قد لا تكون هجرة البعض من أجل المال في حد ذاته لكن لنكن صادقين مع أنفسنا لقد ماتت في أنفسنا بهجة الحياة وقيمة صناعتها ولم نستطع للأسف الشديد بناء أوطان حية ولهذا هاجر أكثرنا.

لقد دمرتنا الأفكار الهمجية التي تنخر يوميا عقول شبابنا وبهذه الأفكار نصنع اليوم الدمار والتخريب والقتل ولهذا فمسؤولية الفاعلين الاجتماعيين من العلماء والفلاسفة والمفكرين والمثقفين كبيرة وكبيرة جدا لإعادة الفهم الصحيح وإزالة كل الرواسب العالقة بتاريخنا الإسلامي حتى نعيد هجرة مثل الهجرة الأولى، هجرة العزة وخدمة الإنسانية لا هجرة المذلة والخدمة عند الناس.!!

الوعاظ بين حقيقة الدين وواقعية الدنيا

أشفق كثيرا هذه الأيام عن الوعاظ الذين يحرصون كل يوم جمعة لوعظ وإرشاد جموع المصلين إلى طريق الخير وإلى طريق الفلاح.. فهذه الوظيفة السامية التي تقلدها الأنبياء والرسل ما تزال على صعوبتها وثقلها مثلما كانت عليه في الأزمان الغابرة.!!

فصعوبتها عند بعثة الأنبياء والرسل كانت تكمن في عدم تقبل الإنسان لدين جديد ولفكرة أخرى غير الفكرة وفلسفة الحياة التي كبر عليها والتي وجد عليها الآباء والأجداد.. ولهذا كان يُكذب الأنبياء والرسل ويضطهدون ويقتلون ويُسخر منهم.

أما صعوبة الوعظ والإرشاد في عصرنا هذا فهي تصب في جانب آخر.. فلا يمكن دعوة الناس لتتذكر الجنة ونعيمها وهم كإنسان لم يسعدوا ولم يعرفوا معنى الحياة.. المصلي يجلس في المسجد وآيات كثيرة تنزل عليه من كل حدب وصوب وأقوال الرسول تنذره وتبشره وهو سارح في مشاكله اليومية.. عقله مهموم بديون أثقلته.. وببطالة أقعدته.. وقد لا يكون له ولعائلته طعام ليلته ولا مصروف نهاره.!!

إنه مهما أبدع الوعاظ في ترتيل الآيات وتضخيم الصوت وتنميق النطق وتحسين الكلام فإن هذا لا يفيد ولا يغير من أخلاق الناس إلى الأحسن إلاّ القليل.. فالإنسان نصفه غريزة دنيوية ولهذا يجب تلبية هذا المطلب له ثم بعد ذلك تأتي دعوته لعالم الروح وإلى النفحة الربانية.

الإكثار والمبالغة في التحدث للناس بعالم الروح لن يكون مجديا ما لم يعمل المجتمع على فلسفة واحدة وهي فلسفة بناء الواقع.. توفير العمل.. تقاليد تسهيل الزواج.. محاربة المحسوبية والرشوة.. بناء ضمير حي وفلسفة حية بين المجتمع لتكريم الإنسان والحيوان والطبيعة.. وأن يؤمن المجتمع بأن الأصل هو بناء الحياة ومشاركة الآخرين في بنائها.

الغرب ينعدم فيه أسلوب الوعظ والإرشاد.. بل يعتبرونه مقزز ومهين.. فإيمانهم بأن الحياة بكل فلسفتها حق للجميع جعلهم أقل كذبا وأقل خيانة وأقل سرقة.. فالعدل والمساواة للجميع وعدم تضييع ثرواتهم وتوليهم عليها من هو أحق بها جعلهم يقفزون فوق أسلوب الوعظ وإعطاء مكانه لمراقب آخر وهو ضمير المجتمع.

الدروس والخطب في عهد الرعيل الأول كانت تحتوي على جمل مختصرة وبسيطة.. كانت من أجل التصحيح والتوجيه.. لأنه كانت هناك حياة وحركة وعمل وتجارة وتكافؤ الفرص.. أما في عصرنا هذا فلا حقوق ولا حياة ولا تكافؤ فرص.. فأي نصح سينفع..!؟ وليؤتى بأفصح الوعاظ وألينهم قلبا وأخشعهم فؤادا.. فلن ينفع ولو تحدث الساعات الطوال.

إن الحياة في خدمة الدين والدين لتوجيهها.. ولنقل: السياسة الراشدة خير واعظ.. والوعظ عمل وقدوة.. والكلام ما قلّ ودلّ.

إلى أين تسير الجزائر..!!؟

أجد نفسي هذه الأيام مثل كل شباب الجزائر حائرا وخائفا على مستقبل وطني.. لأني لا أريد له أبدا أن ينزلق إلى متاهات جد خطرة.. تضعف من قدراته وترهن مستقبله وتفتت وحدته.

الجزائر أمانة في أعناقنا جميعا.. ولهذا فلابد من تحكيم العقل وضبط النفس والتفكير الدائم والمستمر في المصلحة العامة وأن نبتعد عن المصالح الضيقة والآنية التي كانت السبب في وقوعنا في مشاكل جسام من اللحظة الأولى من استقلالنا..!!

حقيقة يمكن القول بأن الجزائر تمر بمرحلة جد صعبة وذلك نتيجة ضعف تخطيطنا وعدم اكتراثنا بمشروع حضاري كبير نواجه به المستقبل.. الجزائر شبيهة الآن بعربة محملة بكل أنواع البضائع الثقيلة والخفيفة اصطدمت بجدار من الإسمنت المسلح غير المغشوش فأربك محركها وأمال بعض الشيء قاطرة القيادة.. هذه العربة كان لها في الحقيقة كل الوقت من أجل أن تسلك طريقا آخر لتتفادى هذا الارتطام الشديد.

فحمولة هذه العربة هي مشاكل الجزائر الثقيلة والخفيفة.. وأول هذه المشاكل وأثقلها وزنا هي مشكلة مستقبل الشباب.. فبعد تلك العشرية السوداء التي مرت علينا واجهنا مسألة تراكم مستقبل الأجيال على بعضها.. حيث أصبح من هو في سن الخمسين لا يختلف مستقبله ولا تختلف وضعيته عن من هو في العشرين.. فالجميع يطلب وينتظر العمل.. والجميع يطلب وينتظر السكن.. الجميع مرهق ولا يرى بأن هناك أمل..!!

وأكثر من ذلك فقد تفاقمت مشاكل أخرى جدّ خطرة وجدّ حساسة.. وهو أمن الوطن وعندما أقول أمن الوطن لا أريد أن أتطرق إلى ما تعيشه دول الجوار أو الأمن من الإرهاب الذي يتحرك أو يُحرك من تارة لأخرى.. لكن أريد أن أنبه إلى خطورة شعور المواطن باللاأمن في حياته اليومية وفي أسرته وأمواله وفي المدينة أو الحي الذي يسكنه.

فهذا اللاأمن هو أخطر ما يمكن أن تصاب به الأوطان والشعوب.. حيث تنتشر الجريمة المنظمة وتنتشر بارونات المخدرات وقد نصل إلى أن تبرز جماعات تهريب وبيع السلاح.!!

وهناك شعور باللا أمن آخر يعيشه الشعب وهو الغذاء.. فالشعب الذي يفكر دوما فيما يأكل وما يشرب غدا يعيش دائما في خوف وفي قلق وتوتر.. وقد لا تنعدم المواد الغذائية كلية لكن عندما يصبح مصير الشعب مرهونا ببارونات تحتكر السلع وترفع من أسعار المواد الغذائية مما يعرض القدرة الشرائية للخطر.. فهذا يحدث الخوف واللا إستقرار في نفسية المواطن ويؤثر عليه سلبا.

ومن المؤكد أن تتفاقم هاتين النقطتين اللتين ذكرت إذا غابت الدولة وغابت مؤسساتها عن الساحة.. وشعور أسلاك الأمن بعجزهم عن تقديم المردود المرجو منهم.. وشعورهم بالضعف وعدم قدرتهم على السيطرة يضاعف في تردي الحالة الأمنية.. ولهذا فإن الذي يحدث الآن في سلك الأمن وخروجهم للشارع للمطالبة بحقوقهم الاجتماعية وتحسين ظروف عملهم لدليل قاطع بأن رجل الأمن أصبح يشعر بأنه عديم الجدوى

وأصبح قلقا عن وضعيته الأمنية على نفسه وعلى عائلته وعلى الوطن برمته.

لا نريد أبدا أن تعطى لرجال الأمن الحرية الكاملة وغير المشروطة ولكن نريد لهم الحرية التامة في تطبيق القوانين ونجاعة المهام التي يقومون بها.

إذن فلابد من طرح أسئلة مهمة وعلينا أن نكون في مستوى الإجابة عليها.. علينا أن نسأل أي مستقبل نريد للجزائر!؟ وهل نريد للجزائر أن تقعل في وحل الإجرام بكل أشكاله وأصنافه مثل ما يحدث الآن ومنذ عقود في كولومبيا وغواتيمالا وغيرهما!!؟.

فلابد إذن من شجاعة قوية من طرف الفاعلين السياسيين والفاعلين الاجتماعيين لدراسة ومعالجة كل مشاكل الجزائر معالجة صحيحة وذكية بكلتا جوانبها الأمن الحسي والشعوري والأمن الغذائي.. لا بد من إعادة الطمأنينة للشعب بأن هناك دولة تحميه وتسهر على أمنه وتسير شؤون حياته ولابد من طمأنته من خوفه وجزعه على أمنه الغذائي.. أما الأمن الأول فيتحقق بالمردودية الجيدة لرجال سلك الأمن بكل فروعهم وذلك من خلال إعادة النظر في بعض القوانين المقيدة لهم والنظر كذلك لحقوقهم الاجتماعية باعتبارهم شريحة من المجتمع لهم ما لها وعليهم ما عليها.

أما الأمن الثاني فيتحقق باستثمارات حقيقية في مجال الزراعة والصناعة وفي إنشاء مؤسسات مصغرة وفي جلب مستثمرين إيجابيين ليقدموا الإضافة المرجوة في تشغيل وتكوين يد عاملة يعول عليها في بناء الوطن.. إذن فلابد من أجل أن

يتحقق كل هذا من شجاعة سياسية مسؤولة تعمل ليل نهار من أجل دفع الضرر المرتقب والمهدد للجزائر.!!

آه يا أولاد سيدي..!!

تثيرني وتهزني تلك الأغنية الجميلة التي غنتها فرقة الكاهنة سنوات الثمانينات.. أغنية تشير رمزا إلى جماعة من الرجال يمتطون جيادهم.. يسلّون سيوفهم "اللّماعة" من أجل زف تلك العروس الجميلة بنت الشرف والجاه إلى ابنهم العريس الذي لا يقل رجولة ولا حزما ولا شهامة عن آبائه وأجداده.. الجماعة: أصحاب النيف والرجولة.. أصحاب الجياد والسيوف اللّماعة!!.

قلت، كانت تثيرني كلمات تلك الأغنية ويعجبني كثيرا لحنها الراقص الخفيف.. لكن كنت دائما أذهب في فهم كلماتها إلى أبعد من مجموعة رجال عزموا على تزويج ابنة الجاه والشرف لابنهم.. الأغنية تبعث في نفسي حماسا قويا وفهما أوسع وأشمل من كلماتها، لقد كنت أتخيل تلك الجماعة صاحبة السيوف "اللّماعة" هم ساستنا ومسؤولينا الذين يديرون شؤوننا والحريصين على مستقبلنا.. كنت أتخيل تلك الجماعة فريقنا الوطني الذي كنا نملك والانتصارات التي كان يحقق والفرحة التي كان يدخلها في قلوبنا.. كنت أرى من خلال تلك الجماعة الخير والهناء الذي يعم وطني والمستقبل الجميل الذي ينتظرني فيه.

الأغنية فيما أتذكر غنيت وصورت في إحدى المدن الجزائرية الجميلة سنوات الثمانينات.. وحلمنا عندها كان بسيطا وجميلا.. حلمنا كان أن يستمر ذلك الرخاء والأمن والحرية والخير الذي عشناه زمن الرئيس الشاذلي رحمة الله عليه.. حلمنا كان أن ننهي يوما دراستنا ونتوظف في مؤسسة من مؤسسات الدولة..

ونتزوج نحن كذلك بابنة الشرف والجاه ونأتي بالجماعة والسيوف "اللّماعة".. ونعيش في وطننا الجميل دون أن نفكر يوما بأن نهجره ونتزوج زواجا يغيب فيه الفارس والجواد والجماعة والسيوف "اللّماعة".

ومرت الأيام وحدث الذي حدث واكتشفنا بأن الجماعة لم تكن كما أردنا وتمنينا.. فوجد أكثرية الشباب أنفسهم بدون مستقبل وبدون أمل.. أنهى أكثريتنا دراسته وجمع كل ما يتطلب من أوراق وحتى ورقة الخدمة العسكرية من أجل الفوز بفرصة عمل، لكن كانت كل الأبواب موصدة ومقفلة.. لأن الجماعة ساهمت في نشر المحسوبية والفساد وعدم الاكتراث بمستقبل الشباب وعدم التركيز على اقتصاد قوي يعتمد على المؤسسات الصغيرة والاستثمار في الجانب الخدماتي والبنية التحتية للوطن.

وعوض أن تكون سيوف الجماعة متحدة ومجتمعة صوب البناء وإقامة العدل ونشر الديمقراطية وإعطاء الفرص للشباب في التسيير والبناء والإسراع في إصلاحات عميقة وشاملة.. راحت تسل سيوفها على بعضها البعض.. فدخلنا في دوامة العنف والعشرية السوداء وازدادت الأوضاع سوء وارتفعت البطالة وتدهورت القدرة الشرائية وعمّ الفقر وزاد الجهل ودخلنا في حروب ضد صندوق النقد الدولي وضد الإرهاب وكدنا لولا ستر الله ولطفه أن نفقد تلك العروس الجميلة التي قررت يوما تلك الجماعة ذات السيوف اللمّاعة تزويجها لابنهم.. كدنا أن نفقد الوطن!!.

وهاهي الأعوام قد مرت عندما غادرنا الوطن.. ليس كرها فيه ولا حقدا عليه.. ولكن لعلمنا بأن ما فسد عبر الأزمنة

والعصور يتطلب وقتا وعملا وجهدا وإخلاصا لإصلاحه.. اخترنا الغربة بعدما عشنا كل تلك العشرية السوداء بأيامها ولياليها خوفا من أن يضيع الوطن ويتشرد أهله.. هاجرنا ونحن نأمل في أن يعم العدل يوما ونعيد لحمة المجتمع لبعضه البعض وأن تتحقق إصلاحات شاملة وعميقة تعيد الأمل والفرح للشباب ولكي تعود بهجة الوطن وشموخه وعظمته وكبرياؤه.

وهاهي السنون قد مرت.. ولم يتحقق للأسف الشديد ما كنا نصبوا ونطمح إليه.. لم يتحقق الحكم الراشد الذي كنا ننشد.. ولم تتحقق الإصلاحات السياسية والاقتصادية التي كنا نريد.. فعمّ الفساد أكثر فأكثر.. وانتشرت البروقراطية والمحسوبية بشكل رهيب.. وزاد اعتمادنا على مداخيل البترول الذي كان سببا في هلاكنا وفي النفق المظلم الذي مررنا.. زادت المشاكل الاقتصادية والاجتماعية تأزما وأصبح مستقبل الشباب غامضا وعاتما وأشد سوادا.. لقد آمنا بتلك الجماعة بأن تصلح وتعيد الأمور لنصابها بعد ما يقارب العقدين من الحكم والتسيير.. لكن للأسف الشديد فإننا نقول لتلك الجماعة صاحبة السيوف اللمّاعة: آه، يا أولاد سيدي "درتوا جماعة" لكن للأسف الشديد سيوفكم لم تكن أبدا "لمّاعة".. أبدا، سيوفكم لم تكن "لمّاعة".. لم تكن "لمّاعة"!!.

أيها الأغبياء إلى أين أنتم ذاهبون بنا!؟

دائما ما أسأل نفسي عن مصير الجزائر لو تستمر أسعار البترول بالنزول، أو لو ينفذ نهائيا هذا الذي سُمي بالذهب الأسود من قاع الأرض، كيف يكون مصيرنا وكيف سنخرج من الأزمة الاقتصادية التي لن تكون أبدا بردا وسلاما علينا مثلما حدث لنا في ثمانينات القرن الماضي!؟.

كما أنه يراودني دائما سؤال عن دول كثيرة لا تملك مثلما نملك نحن من خيرات طبيعية ومناخية ومثل هذا الرزق العظيم الذي نستخرج ونبيع ونعيش بمداخيله، لكن اقتصادها من أحسن اقتصاديات العالم ونسبة البطالة عندها أقل بكثير مما عندنا نحن..!؟ تملك مصانعا ومنتوجات كبيرة وعريضة.. مكتفية شعوبها في كل صغيرة وكبيرة ولها وفرة منقطعة النظير في كل احتياجات ومتطلبات الحياة والسبب الرئيسي في قدرتها على تحقيق ذلك أنها دول تعيش بذكاء وتحسن استعمال والاستفادة من عقولها ومنتجة للأفكار.

فعلى سبيل المثال: مملكة السويد التي لا تملك ثروات طبيعية مثلما نملك نحن إلاّ أنها استطاعت بذكائها وحسن تخطيط لنخبها أن تصبح دولة من الطراز الرفيع في كل المجالات، فهي تعتمد كثيرا على صناعة الأفكار وبيعها في أوراق مغلفة وتقبض على ذلك أثمانا باهضة.. تعتمد كذلك على خلق مؤسسات اقتصادية من العدم وتطويرها ورعايتها ثم عندما تكبر وتصبح مؤسسات كبيرة تبيعها بأموال ضخمة ومن تلك الأموال تستثمر في مشاريع أخرى.

مملكة السويد استطاعت بذكائها أن تقضي تماما على القُمامة وتحويلها إلى طاقة نظيفة تُستعمل في المجمعات الصناعية أو كحرارة لتدفئة البيوت وهي الآن تستورد القمامة من مملكة النرويج وفي السنة القادمة ستستورد من مملكة بريطانيا العظمى ومن دول أوروبية أخرى!!.

دولة البرازيل بذكائها استطاعت من خلال الرسكلة وإعادة الاستخراج أن تجمع من الألمنيوم كل سنة ما يمكن صناعة طائرتين من نوع البوينغ.. أما الولايات المتحدة الأمريكية فإن العشرات من المؤسسات المصغرة والصغيرة والمتوسطة تتشكل كل شهر لتدعم اقتصاد البلد وذلك فقط من تخرج الطلبة النجباء من شتى الجامعات والمعاهد، وهناك أمثلة كثيرة عن دول أخرى رغم قلة ثرواتها الطبيعية إلاّ أنها أفضل منا بكثير وذلك باعتمادها على الذكاء والعقل في تسيير شؤونها.

أما نحن الأغبياء وللأسف الشديد.. نعم "نحن الأغبياء" بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى فقد ركزنا على البترول وريعه من أجل العيش، حتى كبر عندنا جيل وكأنه قد بَتُرتْ يداه عن العمل وعُطّل عقله عن الإبداع، ريع البترول علمنا أن نطلب كل شيء من الدولة وننتظر منها أن تنجز لنا كل شيء، ريع البترول علمنا النوم والتكاسل وطلب السكن وحب الربح السريع بدون جهد وتعب، ريع البترول علمنا المقولة الشهيرة التي لا توجد إلاّ في القاموس الجزائري: "كل عطلة فيها خير".

وإذا أردنا أن نتطور وأن نخرج من هذه السلبية العويصة علينا أن نتعلم مثل الدول الأخرى العيش بذكاء.. والعيش بالذكاء يتطلب مجاهدة وصبر واستمرارية وحتما سنصل يوما

لمرادنا.. العيش بذكاء يتطلب منا أن نعود للصناعة اليدوية وتشجيع الحرف اليدوية المختلفة.. لكي نعيش بذكاء علينا أن نعتمد على النجباء من طلبتنا ونشجعهم وندعمهم على الاختراع والابتكار، لا بد بأن تكون لنا تكنولوجيا نستفيد منها نحن في الوطن ثم نحاول أن نجد لها تسويقا في دول أخرى، لابد من العمل على الوصول إلى الاكتفاء الذاتي وأن نعمل على تشجيع الإنتاج الوطني وليكن شعارنا في ذلك: نأكل ونلبس ونستخدم ما ننتج وما نصنع.

لا بد أن نوسع من اختصاصات التكوين المهني وأن لا نتركها حبيسة الخياطة والحلاقة والطرز على الحرير.. لابد من تحبيب الحِرف والصناعات اليدوية للجيل الناشئ وأن نترك لهم اختيار المهن التي يريدونها بكل حرية وأن نبتعد عن التصوير لهم بأن الإنسان الناجح هو فقط الطبيب والطيار والمهندس والمحامي.. علينا أن نغرس فيهم احترام كل المهن وكل التخصصات وأن الإنسان يكمل بعضه البعض ويخدم بعضه البعض.

عيب علينا أن نستورد الآلاف من البنائين من الصين ومن دول أخرى وشوارعنا عامرة بأصحاب العضلات المفتولة لأننا ازدرينا قيمة البنائين في أبنائنا وأعطينا كل القيمة والاحترام لأصحاب الشُنط وأصحاب الربح السريع.

لابد إن أردنا تدارك الذي فات والاستعداد لما هو قادم وأسعار البترول في تراجع مستمر أن نستفيد من صحرائنا الشاسعة ليس فقط في مجال البتروكيماويات بل في مجالات أخرى كثيرة ومتعددة.. علينا أن نعمل على إعادة صياغة الأفكار

في الطريق الصحيح ومعالجة المنظومة التربوية وتصحيح خطاباتنا وتصوراتنا والاستفادة من مَلَكَةِ العقل، وعلينا أن نتعلم كيف نعيش بذكاء ونسيان مداخيل البترول ونتصور أنفسنا وكأننا نعيش في جزيرة بعيدة عن كل العالم.. فماذا نحن فاعلون!؟ هل سنعيش بذكاء أم نموت مثل الأغبياء!!؟.

أيها الغرب: تعالوا إلى كلمة سواء بيننا

لن أحكم مثلما حكم الكثير من نشطاء مواقع التواصل الاجتماعي على الحادثة التي شهدتها العاصمة الفرنسية باريس وما وقع من أعمال عنف راح ضحيتها العديد من الصحفيين والمدنيين على أنها مسرحية ذات مستوى متدني ضعيف إخراجها وتمثيلها رغم أن لحجتهم هذه ما يبررها.. بل سوف أساير الرأي العام وكل الشهود على أنه حدث إجرامي يتطلب مني ككاتب وكمواطن يعيش في أوروبا ويتعامل يوميا مع الناس من مختلف الأجناس والأديان أن أدين هذا الاعتداء الوحشي وكمسلم أقول: بأن الإسلام بعيد كل البعد عن التطرف وعن التعصب وعن القتل والإجرام، بل إنه ينكر كل هذا ويحرم قتل النفس بغير حق وينهي عن تخويف وترويع الناس المسالمين. الإسلام دين التسامح والسلام والأمن ويدعو عبر نصوص القرآن إلى التعارف وربط علاقات إنسانية ولكل إنسان الحق في أن يختار الدين الذي يريد والوجهة التي يبتغي.

لكنني في نفس الوقت لا أريد الذهاب لما ذهب إليه أغلبية ضعاف الشخصية وأصحاب العواطف المسلوبة بأن أكون شارلي إيبدو، فهذه الجريدة فعلت الكثير باسم حرية التعبير من أجل الإساءة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم والإساءة لكتاب الله وللدين الإسلامي وهي الوحيدة التي تتحمل تبعات هذا الحادث الأليم وما انجرّ عنه من إزهاق للأرواح وتهويل لحياة المواطنين المسالمين ومن قلق وألم للرأي العام الغربي والإسلامي.

أتذكر في هذا المقام كلمة كان يرددها دائما الجنرال ديغول عن الفرنسيين حيث قال: "مشكلتي مع الفرنسيين هي أنهم يعتقدون بأن لكل مشكلة حلا، ولا ريب في أن لكل مشكلة حلا ولكن ليس على المدى القريب، فهناك مشاكل تستطيع حلها في خمس دقائق وأخرى لن تحل إلاّ بعد خمسين سنة وذلك عندما تنضج الظروف". فهذه الجملة التي كان يرددها شارل ديغول أعتقد بأنها لا تنطبق فقط على الشعب الفرنسي فحسب بل هي تنطبق على كل الغرب على اختلاف لغته وديانته وقوته الاقتصادية. الغرب تعود دائما وخاصة الطبقة المثقفة والطبقة السياسية والعسكرية منه خلق المشاكل والبحث عن حلول لها في فترة وجيزة ثم عندما يطول الحل يبدأون بعد ذلك بالبكاء والصراخ الإعلامي والابتزاز ونشر البلبلة وتحريك خيوطهم التي تمتد هنا وهناك!!.

حقيقة فإن الذي حدث في فرنسا هذه الأيام مؤلم وغير صحيح وتلعنه كل الأديان وتدينه كل القوانين الإنسانية، لكن هل تسنى لهذا الغرب عن طريق الطبقة المثقفة التي لديه للبحث عن الأسباب وإيجاد الحلول المناسبة والشجاعة لكل هذه المشاكل!؟.

تعال أيها الغرب لنجلس إلى طاولة الحوار ولنطرح هذه الأسئلة: تعلمون بأن النبي محمد والقرآن الكريم والإسلام هي عناصر مقدسة عند المسلمين في المشرق والمغرب وعلى اختلاف مذاهبهم، فلماذا إذن تسخرون منها وتكررون ذلك عمدا؟. لابد وأنكم لم تفكروا في الأمر جيدا عندما نشرت الجريدة الدانماركية يولاندس بوستن في سبتمبر 2005 الرسوم المسيئة

للرسول محمد وما انجرّ عن ذلك من ردة فعل قوية وساخطة من كافة المسلمين عبر العالم. لابد وأنكم لم تفهموا بأنه ليس كل المسلمين هادئين وصابرين لا يردون عن الإساءة، فهناك كذلك المسلم المتطرف والمتعصب وسريع الغضب والذي يرد الإساءة بإساءة أخرى وأعظم شراسة وقوة منها.

أيها الغرب تعالوا لطاولة ولنتحدث بكل موضوعية وبعقل هادئ مستنير، ماذا تقولون فيما يحدث في العراق من قتل للأطفال وللنساء وللشيوخ وللمدنيين، فكل يوم يموت المئات بسبب طائراتكم وقنابلكم وأسلحتكم الخفيفة والثقيلة!؟. أيها الغرب ما قولكم فيما يحدث لشعبنا ولأمهاتنا ولأطفالنا ولشيوخنا في سوريا؟ الأطفال هناك يموتون تحت صقيع البرد وتحت جليد الثلج ومن الجوع. أليس ما يحدث للشعب السوري من تشرد وقتل هو أكبر حدث في تاريخ الإنسانية لم يحدث مثله لا في الحرب العالمية الأولى ولا الثانية!؟. ما قولك أيها الغرب فيما يحدث في ليبيا وفي إفريقيا التي قضت عليها المجاعة والعطش، أليس هذا من سياستكم الإنسانية التي تطبقونها!؟.

قلت دائما وعبر الكثير من المقالات التي كتبت، إن قانون نيوتن الفيزيائي سيبقى يفعل فينا فعلته، فلكل فعل رد فعل يساويه في القوة ويعاكسه في الاتجاه، وما هذا الإرهاب الذي يحث من حين لآخر إلاّ عبارة عن ردود أفعال، أنتم أيها الغرب من بدأ بالفعل، فلا الإسلام الذي دعا لهذا ولا كتاب الله ولا أقوال رسول الله، بل هو الظلم الذي يعيشه أهلنا وإخواننا في فلسطين من تقتيل وتهجير واغتصاب لأراضيه، بل هو القتل الذي يحدث لإخواننا في بورما أين توقد النيران ويرمى فيها

المسلمون دون تردد وتحت أنظار الجميع وقد أحرق منهم الآلاف، فأين هي إنسانيتك أيها الغرب وأين عدلك وأين هي رسالة التحضر والحرية التي تنادي بها!؟.

وكما قال الجنرال ديغول إن كل هذه المشاكل وهذا التطرف والإرهاب الذي يحدث لن يحل في خمس دقائق، بل سيأخذ خمسون سنة لكي يحل جزء بسيط منه فقط، هذا إذا كانت لديكم الشجاعة الأدبية والأخلاقية على فتح كل الملفات العالقة بدون استثناء والإجابة عليها، فلابد للعدل أن يمس الجميع ولابد للأمن أن يعم الجميع، ولابد للحرية أن تغطي الجميع ولابد للجميع أن يتقاسم لقمة العيش وينعم بالثروة.

أتمنى أن تكون هذه الحادثة درسا يتعلم منه الجميع من أجل حوار أشمل وأعمق.. وأن يعمل الغرب على تطوير سياسة الإدماج وإلى فهم أكبر وأوسع للجاليات الأخرى.. وأن نجعل من الإعلام عنصر بناء وليس عنصر هدم.. والذي يريد الربح وتحصيل المال عليه أن يسلك الطريق الصحيح وليس طريق سبّ الدين والسخرية من مقدسات الشعوب.. لابد أن نعمل جميعا حكومات ومنظمات إنسانية ودينية على نشر التسامح والأخوة بين كل الشعوب فهذا هو الطريق السليم لحياة أفضل وأجمل للجميع.

بالمطالعة تتجدد الحياة

في المطالعة فوائد جليلة، فهي غذاء للعقل ونور للقلب تهذب النفس وتزيدها ثقة، وسلاح أساسي في الصراعات التي يعيشها الإنسان في يومياته، سواء على المستوى العائلي أو بين جيرانه أو بين أصدقائه أو في مكان العمل... الخ.

وفي الصراع الذي يخوضه الفرد في يومياته وتدافعه مع الآخرين، يشير عالم الاجتماع الألماني (ريندال كولينز) بأن الفرد يعود إلى مصادر أساسية ليواجه بها الآخرين: فإما أنه يستعمل القوة الفيزيقية، وإما أنه يعود إلى مصادر مادية كاستعمال الأسلحة، أو إلى مصادر فنية والتي تتضمن مهارات الكتابة والقراءة والمعرفة.

وفي السنوات الأولى في إقامتي في السويد، كان يدهشني ويسعدني في نفس الوقت منظر المواطنين وهم يُقلّون الحافلات أو المترو إلى وجهاتهم المختلفة، جلهم إن لم أقل كلهم، إما أنه يطالع كتابا أو جريدة، صمت رهيب يخيم على المكان، وكأنهم عُبَّاد الله في صلواتهم.!!

والمجتمع الذي تشيع فيه الثرثرة، ويعلو فيه الصراخ حتما هو مجتمع قليل القراءة، لا تتوقف فيه أبدا الصراعات الهامشية تزيده بعض الأفكار الشاذة اختلافًا، فيرتفع منسوب العداوة بين أفراده وجماعاته، وتنتهي بهم إلى خصومة أبدية، فيصبحون ويمسون لبعضهم البعض معاول هدم لا أحجار بناء.

وهذا ما أصبحنا نعيشه ونراه في مختلف وسائط التواصل الاجتماعي، حروب شرسة بسبب فكرة أو رأي في الدين أو اللغة أو الهوية، والمشكلة أن هذه الآراء ليست وليدة الساعة كما يقال، وإنما تحدث فيها وأثارها من سبقونا بقرون، ولكن، ولأننا لسنا محصنين بالأدوات التقنية والفنية لمواجهة أي فكر نعتقد أنه دخيل علينا، نلجأ بسرعة إلى السب والشتم والتخوين أو ربما التكفير، وبهذا نزيد فوق حماقاتنا أطباقًا أخرى من الحماقات.

ولو كنا نطالع كثيرا، لامتلكنا أدوات التحليل والتفكيك ولأصبحت عقولنا أكبر من أن تثيرها أفكار هامشية، ولاتسعت قلوبنا بتقبل وحب الإنسان الآخر الذي يختلف عنا، ففي الاختلاف رحمة مثل ما يقال، ولتجاوزنا المستوى الخطابي الذي نترنح فيه اليوم بكثير، ولكانت أنفسنا أكثر نقاءا وردود أفعالنا أقل عنفًا.

ليس هذا فقط، فالمطالعة تجدد حياة الأفراد، تخرجهم من الرتابة المملة التي يعيشونها يوميا، تدخل السعادة والبهجة في قلوبهم، تطالعهم على أفكار جديدة، وعلى طريقة عيش أقوام وعلى ثقافات عديدة منتشرة في كل ربوع العالم.. المطالعة تطلق صوتًا خافتًا بداخلنا لكنه قوي وعميق، بأننا لسنا وحدنا في هذا العالم، فما نحن إلاّ ذرة يسيرة فيه.

ويا حبذا لو ننتبه نحن كآباء وكأمهات، وينتبه المعلمون والمعلمات في المدارس إلى أهمية المطالعة، ونجعلها سنة حميدة نربي عليها الأجيال القادمة، ومن يهمه الأمر كذلك من هذا الجيل، فحتما، باكتساب هذه الخصلة الحميدة سنحل دون أن

ندري آفات عديدة، وطبائع فاسدة، ونحسن طريقة عيشنا فالعيش الكريم وواقعنا يتطور ويتحسن عندما نطور ما نحمل من أفكار، والأفكار مصدرها العقل، وغذاء العقل المطالعة.. بها يتغير واقعنا وتتجدد حياتنا.

حق الحياة بين أنصار الإنسان وأنصار الخرفان

بعد انتشار جرائم ما يسمى بداعش هنا وهناك والأعمال الفظيعة التي يقومون بها.. انطلقت أصوات عبر مختلف مواقع التواصل الاجتماعي وفي بعض الصحف لمثقفين وحقوقيين وكتاب وإعلاميين يستنكرون تأدية أضحية العيد شعيرة المسلمين.. لأنه حسب قولهم يعتبر ذلك فعلا همجيا بربريا متخلفا لا يمت للإنسانية بصلة.. ولا فرق بينها وبين أفعال داعش الإجرامية كما يدعون.!!

والذي نتأسف له في تصريحات هؤلاء أنهم لم ينددوا ولم يستنكروا للجريمة النكراء التي حدثت في مصر أثناء فض الاعتصام في ساحة رابعة العدوية أين قتل المئات من الناس رجالا ونساء.. صغارا وكبارا.. بل قرأت للبعض شكرهم الجزيل لصانع ومنفذ الانقلاب لقتله للأبرياء وشكرهم له وتمنياتهم بالفناء لجماعة الإخوان المسلمين ولكل من يؤيدهم.. نعم إنه في منطق هؤلاء الناس أن نحزن لموت الخرفان ولا نحزن لموت وحرق البشر بكل أنواع الأسئلة والنيران.!؟

وفي حقيقة الأمر أفكار هؤلاء معروفة وبغضهم الشنيع لكل شعائر وشرائع وفرائض الإسلام ظاهرة للعيان.. ففي شهر رمضان المعظم يخرج لنا هؤلاء بحرية الأكل والشرب أمام الملأ.. ويوم عيد الأضحى تحت ما يسمى بحقوق الكباش والخرفان.. ويوم الجمعة استنكارهم لذهاب الناس لتأدية الصلاة وعدم ذهابهم للعمل خوفا منهم على اقتصاد البلد.

أتعجب حقا لتوجهات هؤلاء ولأفكارهم الشاذة.. ففي الوقت الذي يجب أن نبحث جميعا عن أسباب انتشار فكر داعش التكفيري وقتلهم للناس على اختلاف دياناتهم وأجناسهم.. يذهب هؤلاء للربط بين أضحية العيد والمذابح التي تقوم بها داعش.. عجبا لحكم وتفكير هؤلاء.. فالشعب الجزائري وكل الأمة الإسلامية تحتفل كل سنة بهذه الشعيرة منذ آلاف السنين.. فلماذا لم ينتشر فكر القتل وتقطيع الرؤوس من قبل!؟ لماذا الشعب الجزائري لم يسمع بهذا الفكر إلاّ في تلك العشرية السوداء..!؟ بل إن مناطق بأكملها قد تعودت على عادة حميدة وفي قمة الإنسانية حيث تفرق على فقرائها لحوم البقر والخرفان التي تشترى بأموال الصدقات ثم تذبح وتفرق مثلما الحال في منطقة القبائل والشاوية وفي صحرائنا الشاسعة.. فلماذا لم يظهر فكر داعش عندهم.!؟

إن هاؤلاء الناس ينقصهم الإنصاف في قول الحقيقة والتشخيص الصحيح.. ولا أعتقد بأنهم سيصلون لذلك.. لأن عقولهم غلفت بغشاء كره الإسلام كشعائر وكشرائع.. وإنكارهم له أنه رقم مهم لا يستطيع أحد تجاهله في حل الأزمات التي تعيشها الإنسانية.

كم هو مشين منظر هؤلاء.. يحزنون لذبح الخرفان ثم يسارعون لشراء اللحم من عند الجزار.. يحزنون لرؤية رأس الخروف مقطوعا ثم يتلذذون بأكل "بوزلوف". رأس الخروف بعد شويه وطبخه . يتألمون لتقطيع الأحشاء الداخلية للخروف لكنهم يفظلون أكل "الدوارة" والكبد والرئة.!!

إن الذي يتألم لموت الخرفان عليه أن يمتنع عن أكل لحمه.. وأنا هنا أحترم بعض الأوروبيين الذين لا يأكلون إلاّ النباتات ولا يلبسون أبدا الألبسة التي تصنع من فرو ووبر وجلد الحيوانات.. هؤلاء جديرون بالاحترام لأنهم في مستوى ما يأكلون وما يلبسون.. وعندما ينددون بقتل الحيوانات من أجل الاستهلاك فمن حقهم لأنه على الأقل أقوالهم تنطبق مع أفعالهم.

إن أصحاب تلك الدعوات المغرضة لا ينظرون إلى فائدة العيد.. أين شاهدنا فرحة أطفال سوريا وفلسطين والعراق وليبيا رغم الجراح والآلام.. إنهم لا ينظرون كم من متصدق تصدق بثمن الأضحية للشعب الفلسطيني المقهور والمحروم من كل الحقوق.. وكم من فقير ومسكين فرح لأكل اللحم الذي لم يدخل ديارهم منذ زمن.. وفضل صلة الرحم والمساواة والتآزر بين أفراد الشعب.. وفرحة المرضى والعجزة في المستشفيات ومراكز الشيخوخة رغم المعاناة.

إن هؤلاء لا ينظرون إلى وقفة الحجيج لله يوم عرفة.. رغم الشقاق والتفرقة والخلاف والاختلاف بين الشعوب وبين الأمة الواحدة.. ليدركوا من خلالها بأن أمل عودة هذه الأمة لريادة البشرية ما يزال قائما رغم التخلف والتقهقر والقراءة السيئة للتاريخ ولنصوص الدين الإسلامي.

أتفق مع هؤلاء إذا نادوا بضرورة تنظيم طريقة ذبح الأضاحي وإبعاد الأطفال عن رؤية تلك المشاهد.. أتفق مع هؤلاء إذا استنكروا منظر المدن في تلك الأيام أين تصبح كل مدننا تشبه المزارع الفلاحية.. تملأها الروائح الكريهة بسبب روث الخرفان والمناظر البشعة بسبب أكوام القش والأوساخ.. أما البكاء عن

حيوانات خلقت خادمة وطعاما للإنسان والفرح لقتل الأبرياء بسبب انتمائهم الفكري أو الديني فهذا قمة التخلف وقمة الفاشية وفكر نازي بامتياز.

أعتقد بأن هناك كتاب فقدوا صوابهم وأخطؤوا في فهم المستجدات الفكرية والسياسية التي تطرح في الساحة العالمية من حين لآخر وعجزوا عن الرد عليها.. فأصيبوا بسبب هذا التخبط بحساسية كره الدين الإسلامي ورفض شعائره وعدم تصديق نصوصه.

من المنتظر من هؤلاء المزيد من التنازلات بسبب الأوضاع السياسية والهجمة الصليبية التي تتعرض لها الأمة الإسلامية.. فاليوم يبكون لذبح الخرفان وغدا سيبكون ربما لذبح الدجاج.. لكنهم سيفرحون دوما لموت وقتل الأبرياء من أبناء جلدتهم بسبب أنهم يصلون ويصومون ويحجون وينحرون.

حوادث الطرقات.. متى تنتهي؟! (2)

لا أخفي عليكم إذا قلت لكم بأني جدّ قلق على مصير الجزائر وعلى مستقبل شبابها.. فمن غير المعقول أن تشهد طرقات الجزائر العشرات من الحوادث التي تؤدي في غالب الأحيان إلى مقتل العديد من المواطنين.. من غير المعقول أن تسجل الجزائر كل سنة ما يزيد عن أربعة آلاف قتيل وكم هائل من الجرحى والمعاقين بسبب هذه الحوادث.. من غير المعقول أن يتعدى عدد الموتى بحوادث المرور دولا كبرى تملك حظيرة كبيرة من السيارات والمركبات الثقيلة.. وطرقات معقدة وكثافة سكانية كبيرة مثل الولايات المتحدة الأمريكية والصين واليابان وروسيا.!!

لست هنا من أجل أن أقترح حلولا لهذه المشكلة فهناك مختصون جديرون بأن يبحثوا ويجدوا الحلول المناسبة.. ولكن ما يمكن أن أقوله هو شعوري بأن الحياة وروح الإنسان في الجزائر أصبحت لا قيمة ولا معنى لها.. وأنه هناك مشكلة حقيقية يعاني منها الإنسان الجزائري.. تتمثل هذه المشكلة في علاقته بذاته وبدولته وبالمجتمع الذي يعيش فيه.. تشعر وأنت تتكلم إلى الناس بأنهم لا يكترثون لقيمة الحياة لأن آمالهم قد حطمت نظرا للتدهور الملموس في كل شؤون وقطاعات الحياة ونظرا للمستقبل الغامض الذي ينتظره أغلب الشباب.

كل شهر تشهد طرقات الجزائر فاجعة كبيرة حيث يتوفى أكثر من عشرة أشخاص في مكان واحد وفي مركبة واحدة.. لابد من البحث ودراسة معمقة لأهل الاجتماع وللفاعلين الاجتماعيين

عن هذه الظاهرة وخلفياتها الاجتماعية والنفسية والاقتصادية والسياسية.

الشاب الجزائري لم يعد لديه أمل في مستقبل واعد يعيش من أجله.. ولم يعد هناك وطن يحبه لأنه سرق منه من طرف الفاسدين والمفسدين ومن طرف خفافيش الفتن وسباحو البرك الملوثة.. الحياة الاجتماعية والسياسية كارثية وهناك استقالة غير معلنة من طرف المسؤول الجزائري وخاصة أكبر مسؤول في الدولة الجزائرية رئيس الجمهورية.!!

قلنا بأن رائحة الموت أصبحت وللأسف الشديد في كل مكان.. فها هي أحداث مدينة غرداية تعود من جديد ليقتل الأخ أخاه ويقتل المسلم أخاه المسلم ببرودة دم ويحرق الجار منزل جاره بكل فرح وسرور.. لا ندري من وراء هذه الأحداث الفظيعة التي تشهدها هذه المدينة التي كانت في السابق مضربا للمثل في الهدوء وفي الحياء وفي الأخلاق العالية.

لست سعيدا أبدا بما يحدث.. وحزين جدا على تلك الأرواح التي تسقط يوميا بدون ذنب وبدون سبب.. لست سعيدا أبدا وأشعر بغضب يهز كل كياني وبجرح عميق عندما أسمع وأرى أبناء مدينة واحدة وأبناء حي سكني واحد يحمل شبابه السيوف والأسلحة البيضاء ويتخندقون في مجموعات لتتقاتل فيما بينها وتسقط بذلك أرواح وتنزف دماء وتفتح جراح.. بل وحتى عندما يفرح الشباب الجزائري بانتصارات رياضية أو عند حضور فرح فتسقط كذلك أرواح.!!

رائحة الموت أصبحت في كل مكان وأكسجين الجزائر تلوث بسببها.. وإن لم نتحرك ويتحرك الفاعلون السياسيون والاجتماعيون فإننا لا قدر الله ستتشعب بنا الطرق والحلول ونتيه في مستنقع الفتن ونخسر ديننا ودنيانا ونخسر الوطن.

لا بد أن يتحرك المخلصون من كل التوجهات والأحزاب والمخلصون في السلطة لكي يتوقف هذا العنف وهذا التشرذم وأن تطفأ نار الفتنة قبل أن تمتد إلى ما تبقى صالحا.. لا بد من شجاعة سياسية يتحملها كل فاعل في الساحة السياسية ولا بد من شجاعة من رئيس الجمهورية بأن يترك مكانه لأنه غير قادر على تسيير شؤون الوطن.. عليه أن يترك مكانه لكي ينتخب الشعب بكل شجاعة وديمقراطية رئيسا قادرا وواعيا ومسؤولا.. قادرا على تسيير شؤون الدولة وواعيا بما يحدث داخليا وخارجيا.. ومسؤولا على كل الشعب الجزائري على اختلاف أفكاره وتوجهاته وطموحاته.

دفء حضن أوطان جليدية..!!

قبل أسبوع فقط انتهى رئيس الحكومة السويدية الجديد وأمين عام حزب الاجتماعي الديمقراطي "سطيفان لوفين" من اختيار الوزراء الذين سيعمل معهم خلال عهدته هذه بعد نقاش ومد وجزر بين الأحزاب التي تحالفت مع حزبه حول بعض النقاط المختلف فيها.. وعندما افتتح البرلمان عهدته أعجبتني مداخلة لبرلمانية تنتمي لنفس حزب رئيس الحكومة وهي رسالة من حزبها إلى أعضاء حزب اليمين المتطرف قائلة: مرحبا بالأجانب هنا في السويد.. مرحبا لمن فرّ بجسده من الحروب ومرحبا بمن هو مضطهد في بلاده ومرحبا بمن قدم إلى هنا بسبب حب.!!

استوقفتني هذه الجملة الأخيرة لبرهة من الزمن وأنا أحاول جمع كل قوايا العقلية والنفسية لفهمها.. فقد نتفهم مساعدة من فرّ بحياته لطلب اللجوء عند دولة أخرى.. فكل الدول ستتعاطف معه حتى ولو شهامة وأنفة ورجولة.. لكن أن يهاجر الإنسان من أجل فتاة أحبها ويريد بناء حياته معها وتقبل تلك الدولة به وترحب بقدومه فهذا الذي لم أسمع به لا في الروايات ولا في القصص الخيالية ولا في الأحلام مثلما يقال.

ثم إن كلام هؤلاء السياسيين وبرامج أحزابهم التي ينتمون إليها لا ينبع من فراغ أو من أجل تصدير انطباعات إيجابية أو من أجل رسم صور جميلة متقنة التلوين والتشكيل.. بل كلامهم حقيقة تعاش وتطبق.. والدليل اختيار رئيس الحكومة لأربعة وزراء من أصول أجنبية.. بل وحتى أسماؤهم أجنبية.. اثنان من

أصول إيرانية وواحد من أصول تركية قريب جدا من الإسلاميين ملتزم بدينه موحد في عقيدته.. وشابة أخرى لا يتعدى سنها الثمانية والعشرين دخلت السويد سنة 1992 وهي ابنة الخمس سنوات جاءت كلاجئة من البوسنة عينت كوزيرة للتربية والتعليم اسمها عائدة حاج علي.!!

نعم.. فإن لقبها العائلي: حاج علي.. قادها تفوقها الدراسي ونشاطها السياسي وأدوارها الإيجابية في المجتمع لكي تصل إلى هذا المنصب المسؤول والحساس.. نعم، إن لقبها هو حاج علي وليس الوزير: الحاج موسى..!! الذي يبقى بعد عشرات السنوات في منصبه ثم يغير إلى وزارة أخرى تحت اسم الوزير: موسى الحاج..!! رغم التسيير السيء والفشل الذريع الذي يتميز به.. نعم فهذا الذي يحدث في بلداننا للأسف الشديد.!!

إني كثيرا ما أسأل نفسي هل يمكن أن نصل إلى هذا النوع من التفكير ومن الإيجابية في إعطاء الفرص لأصحاب الكفاءات العلمية لكي يسيروا شؤون حياتنا ودواليب الدولة عندنا!؟ إني كثيرا ما أسأل نفسي لماذا يبقى الوزراء عندنا في مناصبهم رغم فشلهم الملحوظ في التسيير..!؟ لماذا يبقى المسؤول عندنا مدى الدهر جاثما في مناصب مسؤولة رغم تقدمه في السن ورغم وجود كفاءات وطاقات أخرى في المستوى.!؟

إن مشكلة الحكام في دولنا أنهم يعتبرون بأن الوطن وخيراته ملكية خاصة ومن ينازعهم في ذلك فإن مصيره السجن أو التعذيب أو النفي.. إن العقليات التي تسيرنا هناك في دول الجنوب للأسف الشديد عقليات بالية لم تفهم بعد الحياة على حقيقتها.. إنهم يعتقدون في قرارة أنفسهم بأن زوال المسؤولية

منهم يعتبر زوال لشخصهم.. لأنهم لم يفهموا بعد بأن الحياة عطاء للوطن وللغير.. الحياة عمل واستمرارية وتكافؤ في الفرص بين الجميع وأن الأولوية للذي يخدم الوطن والعباد من أعماق قلبه.

الحكام عندنا عقيدتهم: لتزول الأوطان وتمحى نهائيا من الوجود ولا تلمس شعرة من كراسيهم ومن امتيازاتهم..!! إن حكامنا معاقة أذهانهم.. مضطربة أنفسهم.. مختلة مفاهيمهم.. ولهذا فإن التخلف سيستمر والانحطاط سيبقى وهروب الكفاءات سيتواصل والحضن الدافئ للدول الأجنبية سيبقى مفتوحا لهم ليستفيدوا أكثر من الوقت وفي المال والاستثمار في الإنسان الذي أهمله المسؤولون عندنا.

لهذه الأسباب يحرق دواعش السويد المساجد

لا يمكن أن ينكر أحد بأن الشعب السويدي في عمومه شعب مسالم له تقاليد قوية ومتجذرة في ممارسة الحريات والدفاع عنها، وكذا ثقافته العالية في الوعي الديمقراطي والعلمانية المترسخة فيه، حيث أن الإدارة هنا تتواجد على نفس المسافة من كل مواطن على اختلاف لونه أو أصله أو دينه أو لغته.

ولهذا فأنا جد متعجب أو لنقل جد مندهش لما حدث خلال هذه الآونة الأخيرة من إقدام بعض الأشخاص المجهولين على عملية حرق المساجد وقد وصل عدد ذلك إلى أربع مساجد تعرضت للحرق أو للاعتداء. آخر مسجد لحد الآن تعرض للاعتداء كان في الأيام الأولى من هذه السنة الجديدة.

ولحد هذه الساعة لم تتوصل الشرطة السويدية لمعرفة الأشخاص الذين تسببوا في هذه العملية وبالتالي من أجل معرفة انتماءاتهم السياسية إن كانت لديهم، ولمعرفة السبب الحقيقي الذي أدى بهم للقيام بهذه الأعمال، وكذا لمعرفة إذا كانت هذه الأعمال فردية أم أن وراءها تنظيم يريد أن يبعث برسالة مباشرة للمسلمين وللسلطات وللشعب السويدي عموما!؟.

كنت متواجدا في هذا البلد أثناء أحداث الحادي عشر من سبتمبر من سنة 2001، وقد سُجلت ردود أفعال فردية في السويد من طرف بعض الأشخاص بعد الحادث مثل محاولة الاعتداء على بعض المساجد كما أنه كُتبت على الجدران الخارجية بعض العبارات العنصرية ضد الإسلام والمسلمين، وأنا

شخصيا أعتبرها ردود أفعال عادية جدا نظرا أولا: لهول ما حدث في أمريكا من سقوط ضحايا وموت مواطنين، وكذا للدور القوي الذي لعبه الإعلام في نعت الإسلام بأبشع النعوت والصفات.. لكن العجيب أنه لم تصل كل تلك ردود الأفعال إلى مستوى ما حدث الآن وهذا ما يجعلنا نطرح أكثر من سؤال عن أسباب كل هذا!؟.

في رأيي الشخصي وإلى غاية أن تصل السلطات السويدية إلى الفاعلين الأساسيين وإلى الأسباب الرئيسية يمكن حصر أسباب ذلك إلى هذه العناصر التالية:

قد يكون السبب الأول وهو أنه لأول مرة في تاريخ السويد يلتحق بالطاقم الوزاري أربع وزراء كلهم من أصول أجنبية مسلمة، وقد تكون هناك جهة ترفض هذا النوع من الطاقات الشابة الأجنبية أن تصل وتأخذ هذا النوع من المناصب كرها منها للأجانب عموما وللأجانب المسلمين على وجه الخصوص.

كما أنه قد يكون هناك سبب آخر وهو ظهور منظمة سرية تعمل بانتظام على محاربة المسلمين وذلك من خلال حرق المساجد، قد تكون هذه المنظمة تحمل فكرا كاثوليكيا متطرفا تعمل بانتظام على ترهيب المسلمين وذلك من خلال حرق دور عبادتهم، وقد اختارت هذه المنظمة إن وجدت حقا أيام أعياد ميلاد المسيح عيسى عليه السلام من أجل تمرير رسالتها، وكأنها حرب بين الإسلام والمسيحية، أو قد تكون منظمة متطرفة أخرى تريد معاقبة شجاعة السلطات السويدية لاعترافها بالدولة الفلسطينية، والسويد كانت السباقة في ذلك مقارنة بالدول الغربية الأخرى!!.

كما أنه يمكن أن يكون السبب في ذلك هو من أجل بعث رسالة واضحة للسلطات السويدية من أجل التشديد في إجراءات طلب الهجرة وتوقيف عملية مساعدة الشعوب المسلمة التي تعيش في حروب حيث تعمل السلطات السويدية منذ فترة طويلة وعبر كل سياساتها السابقة على فتح الحدود لهم وتوفير سبل الحياة الكريمة لهم، وقد عملت السلطات السويدية على فتح أبواب المملكة من قبل للمسلمين من العراق والصومال والبوسنة وغيرهم، وأخيرا للشعب السوري الشقيق على مختلف دياناته وتوجهاته. ويمكن الإشارة هنا لموقف الحزب الديمقراطي السويدي الذي تحصل على عدد معتبر من مقاعد البرلمان وهو حزب عنصري متطرف كان شعاره دائما: نغلق باب الهجرة في وجه الأجانب ونساعدهم في بلدانهم.

كما أنه قد يكون السبب في ذلك هي الظروف الاقتصادية الصعبة التي تمر بها المملكة وارتفاع نسبة البطالة بين أبناء من لهم أصول سويدية، لكن في تقديري الخاص هذا سبب ضعيف لأنه لو كان الأمر كذلك لكان الاعتداء على كل الأجانب على اختلاف أصولهم ودياناتهم ومعتقداتهم، كما أن اقتصاد السويد مقارنة بكل دول العالم يعتبر اقتصادا ناجحا وقد حقق أهدافا كبيرة، والسويد من البلدان القليلة التي مرت عليها الأزمة الاقتصادية بردا وسلاما ولم تحدث فيها أثرا كبيرا مثلما حدث لدولة إيسلندا أو الولايات المتحدة ولدول جنوب أوروبا.

كما أنه يجب أن نشير بأن الجالية المسلمة في السويد تعتبر جالية واعية ولا يمكن لها أن تُثار وتُستفز من خلال هذه الاعتداءات المتكررة على دور العبادة، ولن تستجيب إلى أي نداء

أصولي متطرف من أجل الانتقام أو من أجل رد الفعل على ما حدث أو من أجل الدفع بها للانتقام، ولهذا فإننا ندعو الأزهر الشريف أن يتوقف عن التنديد أو التدخل في أمر لا يعنيه لا من قريب ولا من بعيد، والأولى له أن يندد بحالات القتل والاضطهادات والسجن التعسفي والتحرش بالمرأة ومنع الأصوات التي تنادي بالديمقراطية في مصر أولا وعندما يعيد الحق لأهله هناك بعد ذلك مرحبا به لينصر ويندد بما يحدث للمسلمين هنا.

ثقتنا كبيرة بالشرطة السويدية وثقتنا أكبر بالأحزاب السويدية وخاصة التصريحات المطمئنة لوزيرة الثقافة ولوزير الداخلية لرفضهما لكل أنواع التطرف ولوقوفهما مع حرية المعتقد، كما أن ثقتنا بالدور الإيجابي الذي تلعبه كل المنظمات الإسلامية وخاصة الدور الكبير الذي تلعبه الرابطة الإسلامية في السويد من خلال شرح الإسلام المعتدل ومساهمتها في توعية عامة المسلمين بدورهم الإيجابي في المجتمع وابتعادهم عن كل ما يؤدي إلى تشويه صورة الإسلام المتسامح.

لابد أن تقوم التسع مائة ألف نسمة من المسلمين التي تندمج في هذا المجتمع بدور إيجابي من خلال المساهمة في بناء البلد بناءا اقتصاديا وسياسيا وثقافيا واجتماعيا، لابد أن تكون المشاركة مشاركة إيجابية من خلال إحياء مبادئ الديمقراطية وترسيخ العدل والمساواة ووضع قيمة الإنسان فوق كل اعتبار فللسويد باع كبير وعريض في ترسيخ الحرية الدينية والفكرية منذ ثلاثينيات القرن السادس عشر عندما عمل مساعد "لوثر" السويدي "أولاوس بيتري" على الدفع بعجلة التنوير في المجتمع

والتي توجت في أواخر القرن الثامن عشر بظهور العلمانية التي ساعدت وتساعد كل الميولات المختلفة والديانات المتعددة والشعوب غير المتجانسة على العيش بسلام مع بعضها البعض فوق أرض وتحت سماء واحدة.

دور الألوان في تطوير المجتمعات..!!

على بعد 25كلم من مسرح "كوباكابانا" والذي يتواجد في أشهر الشواطئ في العالم يقع حي سكني يسمى "فيلاكروزيرو" يعيش فيه ما يقارب الستون ألف نسمة.. حي شعبي تكوّن نتيجة هجرة العائلات والأفراد من المناطق النائية من أجل البحث عن العمل والخروج من فاقة الفقر.. فأصبح هذا الحي لوحده مدينة في داخل المدينة الكبيرة "ريودجانيرو" في البرازيل.. هذا التجمع السكني عبارة عن كتلة من البناءات الفوضوية غير المتجانسة وكل يوم تسجل فيه حالات عديدة من المواجهات الدامية بالأسلحة بين الشرطة وعصابات المخدرات.. مكان استفحلت فيه الجريمة والسرقات والإنحلال الخلقي والضياع التام للأطفال.

وفي زيارة قبل عشرة سنوات لمخرجين من هولندا من أجل تصوير فيلم وثائقي وتأثرا بالحالة المزرية التي يعيش فيها سكان هذا الحي، وكذا لبشاعة منظره وعدم تجانس بناياته الفوضوية فقد قررا تقديم ولو خدمة بسيطة لسكان هذا الحي وكانت الفكرة هي تلوين كل البنايات ورسم على كل جدرانه فسيفساء من الألوان الجميلة التي تسر الناظرين.

وبعد عمل وجهد كبيرين أصبح المجمع السكني ذو منظر رائع وكأنه مجموعة من قصور ألف ليلة وليلة.. يبعث السرور والبهجة والفرحة في قلوب ساكنيه وفي نفوس الزائرين ومنظر جميل للمتأملين.

وفي الجزائر نشاهد بنايات جميلة ومتناسقة وشامخة.. لكن وللأسف الشديد في معظمها تنقصها تلك اللمسة الأخيرة سواء في إنهاء ما تبقى من بناء أو في تلوينها وصبغتها.. بل وللأسف الشديد فقد ترسخت عادة سلبية لدى الكثير من ملاك هذه البنايات وهي أنه عندما ينتهون من بناء سكناتهم فإنهم عوض صبغتها وتجميلها فإنهم يلجؤون لتعليق إطارات عجلات السيارات حتى تساعدهم على طرد العين وصدّ حسد الحاسدين وإبعاد وسوسة الشياطين!!.

إن صبغة السكنات بألوان زاهية مثل الأخضر الفاتح والأزرق والأبيض ومزيج من الألوان الفاتحة الجميلة تعطي منظرا رائعا وتدخل الهدوء والطمأنينة لسكان الحي.. وتنمي في نفوس الأطفال حب الجمال والتوق إلى عشق النظافة وتدخل في نفوسهم السرور والبهجة وتجعلهم في وصال دائم مع الفنون الجميلة، فتزيد في تمسكهم وطلبهم للذوق الرفيع في كل شيء.

لابد من الاعتناء برياض الأطفال وبالمدارس أكثر فأكثر وجعلها دائما في منتهى الجمال والزينة حتى تساعدهم في تحصيلهم المدرسي وحتى تتعود عيونهم على رؤية المناظر الجميلة فتكون إضافة رائعة وأكثر قيمة في تربية سوية ومتكاملة.. وهذا القرآن الكريم يشير إلى قيمة التمايز باللون في تلك البقرة التي طلب من بني إسرائيل ذبحها إلى لونها التي كانت تتميز به عن بقية البقرات حين قال: إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين.

وجميل أن نثمن تلك المبادرة التي قام بها شبابنا من كل نواحي الوطن والتي تتمثل في طلاء وصبغة السلالم والجدران في أحيائهم.. وهي مبادرة رائعة وحضارية تتطلب الدعم الكامل من

مختلف الجهات الرسمية لتوسيعها في كل الأحياء، بما في ذلك الأحياء الشعبية أو حتى الأحياء التي ينتظر ساكنوها الترحيل في القريب العاجل لسكنات أخرى.. لأن فائدة هذا العمل الجميل تعود على الجميع وخاصة الأطفال وهي إضافة تربوية لهم تبعدهم عن العنف والكراهية وعن كل المناظر المشينة.

لابد أن تترسخ هذه العادة وتعم كل ولايات الوطن وأن نسعى لتوعية كل من انتهى من بناء مسكنه على صبغته وطلائه وكم يكون هذا العمل رائعا لو يقوم عليه مختصون وعارفون بفنون الألوان وفنون رسم الفسيفساء.

إن اعتناء الإنسان بمظهره الجميل فقط غير كاف.. فلابد لهذا الجمال أن يتعدى للمكان أيضا.. فتكون بذلك شوارعنا نظيفة وأماكن جلوسنا وراحتنا حسنة.. وبالمنظر الجميل وحسن صناعة الألوان والإبداع فيها يمكننا أن نساهم ولو بنسبة قليلة في تهدئة نفوس شبابنا ونبعدهم بذلك عن شرّ المخدرات والمهلوسات.. فالشاب الذي يرى نفسه جميلا ويتعود على الجلوس في أماكن جميلة ويكبر على ثقافة الجمال وحسن المنظر ويساهم في تلك العلاقة المتكاملة بينه وبين الكون فإنه حتما سيساعده ذلك على مواصلة حياته بهذا النمط.. بذلك سيتقي شرّ ما بهذه الحياة من انحرافات.. وبصناعة الفرد الحسن والسوي سنخلق مجتمعا حسنا وسويا مساهما في بناء حضارة الله وحضارة الإنسان.

دور القراءة في تطوير الإنسان والأوطان

بعض الإحصاءات غير الرسمية سجلت بأن معظم أفراد المجتمع الجزائري يقرأون بمعدل نصف صفحة في الشهر، وإذا صدقت هذه الإحصاءات فلابد أن ندق ناقوس الخطر وعلينا أن نخاف على مستقبل الأفراد وعلى مستقبل الأجيال بل وحتى على مستقبل الوطن برمته.

وإنني أشعر بالبهجة والسرور هذه الأيام لأن هناك معرض وطني للكتاب يقام في الجزائر العاصمة الذي دأبت على تنظيمه وزارة الثقافة، لكن يجب علينا أن لا نغتر بالكم الهائل الذي يسجله الزوار يوميا ولا بكمية الكتب التي تباع، بل علينا أن نقوم بدراسة وإحصاءات ميدانية حتى نعرف أي نوع من الكتب مازال يجذب انتباه وإعجاب القارئ الجزائري، فإذا مازال اهتمام القارىء مثل السنوات الماضية بكتب الرقية الشرعية وكتب السحر وكانت كتب إخراج الجن وكتب الطبخ هي المسيطرة والأكثر مبيعا مقارنة بالكتب الفكرية والفلسفية وكتب علم الاجتماع والرواية وكتب التنمية البشرية وصناعة الحياة فيحق لنا القول بأننا لم نرتقي بعد إلى مصف العارفين بالنوع الرفيع والهزيل من الكتب وأننا لا نفرق بعد بين الكتاب الذي يطور من حالنا والذي يزيدنا تخلفا وتراجعا.

من المفروض عند إقامة هذا النوع من المعارض أن تقام ورشات ينشطها مختصون وأساتذة ليشرحوا لزوار المعرض أي نوع من الكتب هم في حاجة إليها، وعن كيفية اختيار الكتب حتى تتطور علاقتهم بالكتاب وكيف يحسنون اختيارها، وتبيان

أي نوع من الكتب تقرأه الشعوب المتطورة حتى تتوسع اهتمامات القارئ الجزائري وحتى يكتشف الزوايا المظلمة التي لم يكن يراها عند اختياره لأي كتاب وحتى يصل إلى المستوى المرجو من القراءة ولينجح بعد ذلك في تطوير نفسه والتزود بالأفكار النيرة التي تضيء له حياته ومستقبله.

إن عملية تكوين قراء جيدين ليست بالأمر الهين، ومثل هذه العملية أخذت وقتا ليس بالقصير لدى الشعوب الأكثر قراءة في العالم، وإذا تركنا هذا الأمر للصدفة دون دراسة وتكوين وإقامة إحصاءات حقيقية فإننا قد نزيد الطين بلة ونتسبب في ترسيخ الأفكار السلبية وتنمية النفس تتقبل المستوى الضعيف وبذلك نضع القارئ في مجالات لا تفيدنا في صناعة جيل يفكر ويعتمد على طاقته العقلية والنفسية في تطوير ذاته وتربية أبنائه على فنون القراءة منذ الطفولة.

وعندما نتكلم عن إشكالية القراءة أقصد بذلك القراءة لدى كافة أفراد المجتمع مع تنوع ميولاته واختصاصاته، لأننا وللأسف الشديد لاحظنا بأن هناك طلبة طيلة سنوات دراستهم الجامعية لم يطالعوا ولا كتاب واحد خارج مقررهم الدراسي رغم أنهم يدرسون الأدب العربي أو أي اختصاص آخر في العلوم الإنسانية.!!

تعلم القراءة لدى الشعوب المتطورة تبدأ أولا بتحبيب الكتاب لدى الأطفال منذ الصغر، ففي مرحلة الحضانة تنظم أنشطة حيث يؤخذ الأطفال لزيارة المكتبة حتى يتقرب الطفل من الكتاب ولكي يتحسس جو المكتبة ويزول خوفه منها ثم يعيرون لهم كتبا مخصصة لهم يأخذونها معهم إلى البيوت ليزيد

تعلقهم أكثر فأكثر بها، بل وحتى هدايا الآباء لأطفالهم يركزون فيها كثيرا على الكتب المقروءة والمسموعة حتى تكبر معهم غريزة حب القراءة.

وإذا أردنا أن ننجح أكثر في تشجيع القراءة لابد من تقريب الكتاب إلى كل سكان ولايات الوطن، خاصة الولايات الداخلية مثل ولايات الهضاب والولايات الصحراوية، فإنه يوجد في هذه الولايات وفي القرى والمداشر من يعشق قراءة وتصفح الكتب لكن بعد المسافة عن العاصمة ونقص الإمكانات المادية تجعلهم يمتنعون عن السفر، ولهذا لابد في السنوات المقبلة أن ينظم هذا المعرض أقل شيء في الجهات الأربعة من الوطن كي تتكافأ الفرص ونقلص بعد المسافة وننشئ أجيالا تعشق الكتاب وتجعل من القراءة غذاءا يوميا لعقولها، حينها يمكننا أن نتحدث عن صناعة الإنسان وعن السياسات الكبرى لتنظيم وتطوير الوطن.

رأس الأصلع دائما الأقرب إلى الله..!!

لا أعتقد بأن هناك شخص في هذا العالم لم يشاهد تلك الصورة التي أُخذت لذلك الجزائري وهو يحمل قارورات الجِعَة التي انقلبت شاحنتها في إحدى طرقات الجزائر.. جزائري بسيط الشكل والهندام أصبح من بين مشاهير العالم بتلك الابتسامة الجميلة وبتلك العفوية التي ظهر بها وهو يضم تلك الجِعَة إلى صدره ويحتضنها وكأنه التقى بحبيب من الأصدقاء أو الأقارب لم يره منذ زمن بعيد.. كل الناس قد رأت ذلك الرجل ومعظم رواد شبكات التواصل الاجتماعي شاهد تلك اللقطة وراح يعلق عليها بكل ما أوتي من قوة وحنكة ونقد لاذع.. إلاّ أنني شعرت بالأسى من أجل ذلك الرجل وقلت في نفسي: ماذا لو كان هذا الرجل لا يدري بأن ما أخذه من الأرض هي مشروبات كحولية وكان يعتقد بأنها مشروبات غازية أراد أن يُفرح بها عائلته وأولاده؟. فقد يكون الرجل فقيرا لم يتسن له امتلاك لمرة واحدة كل تلك الكمية الكبيرة من المشروبات الغازية حسب ظنه واعتقاده لهذا راح يبتسم تلك الابتسامة العفوية الرائعة!!.

قلت عندما شاهدت تلك الصورة لذلك الرجل رحت أطرح على نفسي العديد من الأسئلة.. ورحت أقارن مقارنة مباشرة بينه وبين الكثير من السراق في زماننا هذا.. سراق سرقوا ما فوق الأرض وما تحت الأرض وما تنعم به البحار والمحيطات من خيرات.. تذكرت عندها وزيرا سابقا في الدولة الجزائرية أسندت له أمانة عظيمة وهي تسيير خيرات باطن أرض الجزائر لكنه سرق جزءا كبيرا من أموال الدولة ومن أموال الشعب وهرب

دون أن يلتقط له أحد صورة ودون أن يراه أحد ودون أن تدينه العدالة أو تتحدث عنه وسائل الإعلام الثقيلة.. وأمثاله كثر إذا لم يفضحهم الله فلا أحد يستطيع أن يصل إليهم.. سرقوا الوطن بكل ما حمل وسرقوا الأمل من الشباب وضيعوا الأمانة وبسببهم وسبب فسادهم وقع شبابنا في وحل المخدرات والخمور والجرائم بكل أنواعها.

فأي الرجلين أقل خطرا على الأمة الجزائرية وأي الأمرين أولى بالنقد والتهكم.. هل الذي يسرق قارورة خمر أم الذي يسرق أموال ومستقبل الشعب؟. أفليس الذي يسرق خمرة ويشربها سيضر بذلك نفسه وإِثْم فعله هذا بينه وبين الله إن تاب واستغفر غفر له.. أما الذي يسرق أموال وجهد الشعب ويحملها في حقائب لتعبر الحدود أو عن طريق صفقات مشبوهة تحول من خلالها الملايير من العملة الصعبة إلى الساحل الآخر من البحر.. أليس هذا أكل لحقوق الناس وتوبتها تتطلب مغفرة الناس وسماحهم قبل طلب المغفرة من الله.. أليس مثل هذه المعاصي والسرقات هي من المظالم بين العباد التي نهانا الله عن الوقوع فيها وجعل حسابها عسيرا يوم القيامة!؟.

إننا نعيش في زمن كثر فيه الظلم ورأس الأصلع فقط فيه قريب إلى الله كما يقال في تعبيرنا نحن الجزائريون.. الفقير والمسكين والضعيف فقط من يلقى القبض عليه وتكتب الصحافة عنهم وتمارس العدالة سلطتها عليهم.. إن الذي يُلزَمُ بإعادة أموال الدولة هم فقط من استفادوا من صندوق دعم تشغيل الشباب.. والذين يطبق عليهم قانون تهديم بناياتهم هم فقط الضعاف الذين لم تعطهم الدولة حقهم في السكن ولم

يستطيعوا جلب ترخيص من أجل السماح لهم بالبناء لأنهم لا يريدون واسطة أو أنهم لا يريدون التعامل بالرشوة والمال الحرام.. الذين يطبق عليهم القانون وتنشر صورهم في كل مكان هم فقط أولئك الشباب الذين يخرجون للشارع سلميا من أجل التنديد بالتهميش والحقرة والبطالة.. الذين يضربون بالهراوات والعصي هم فقط المثقفون الذين يريدون الخير وإصلاح البلاد ومنعها من الانزلاق فيما لا تحمد عقباه أو أهلنا في الصحراء الذين لا يريدون لأراضيهم ومياههم ومزارعهم أن تقتلها جراثيم وسموم المواد المستعملة في الكشف عن الغاز الصخري.

إن صديقنا سارق الخمر كما يسميه البعض قد يكون أخذها إلى بيته ثم اكتشف بأنها خمر فرماها.. أو أنه أخذها وهو يعلم بأنها خمر ثم هداه الله في الطريق وتخلص منها ولا يعلم بذلك أحد.. أو قد يكون قد أخذها حقا وشربها ثم بعدما أفاق من نشوتها قد استغفر ربه فتاب الله عليه فلا أحد يعلم ما تخفيه الصدور.. لكن المؤكد بأن شاربي الخمور في معظمهم - أقول في معظمهم - أناس أصحاب كلمة وأهل صدق ويحافظون على الأمانة وهذا بشهادة الكثير ممن تعامل مع هذه الفئة.. لكن الذي لا يمكن تصديقه هو أن يصبح المتعلم والمسؤول في الدولة سارق ومخادع ومضيّع للأمانة وإذا تحدث كذب وإذا أمنته خان فهذا هو الأخطر وهذا هو الذي يجب أن نوجه إليه كميراتنا وأقلامنا وأن نوقفه عند حده وننشر خبره في كل مكان حتى لا تضيع أموال الشعب أكثر فأكثر وحتى لا يضيع الوطن وحتى لا يرتمي شبابنا في وحل المخدرات والخمور وفي اليأس القاتل جالب كل الشرور.

رمضان في السويد 1

حلّ أول شهر رمضان في الغربة وأنا بدون مقعر هوائي (پرابول) من أجل التقاط القنوات الجزائرية.. ففي ذلك الزمن البعيد لم تكن هناك التلفزيونات الخاصة مثل اليوم.. فقط ما يمكن مشاهدته هي قناة كنال ألجيري.. فاقترح عليّ صديقي السي لخضر رحمه الله تعالى أن يعطيني الهوائي المقعر الذي لم يعد هو في حاجة إليه.

يومها اكتشفت كذلك بأن السي لخضر إذا مشى أسرع.. فجسده النحيف كان يؤهله لذلك.. كان حريصًا على الوقت من أجل أن يلحق بالميترو الذي ينقله إلى منزله.. الوقت عنده كان هو الحياة.

وصلنا إلى المنزل.. لم تمر ساعة من الزمن إلا وكان الپارابول بين يدي.. عدة قطع من الحديد مع قصعة دائرية معدنية كبيرة.. تساءلت؛ يا إلهي كيف سأحمل كل هذا إلى البيت؟.. وأي وسيلة نقل سآخذ؟.. اخترت الباص عن الميترو لأنه كان الأقرب.. صعدت الباص بكل تلك القطع الحديدية.. كان البعض ينظر إليّ.. كنت أتصبب عرقا.. ربما كنت أول مهاجر يحمل في يده پارابول في باص في السويد.

لقد كان بالنسبة لي مشاهدة القناة الجزائرية بعد الإفطار شيء مقدس.. كنت أحب مشاهدة السكاتشات.. كانت تخفف عني ثقل الغربة.. وتقربني ولو نفسيا بالعائلة في بلدي.. تربطني ولو معنويا بالعادات وأجواء صيام رمضان.. يومها شعرت

بالحقيقة التي لابد من الإيمان بها.. سأفتقد كثيرا رمضان الجزائر.. هكذا كتب الله في لوحه المحفوظ.

كنّا نجلس بعد الإفطار ونبدأ مشاهدة برنامج القناة الجزائرية.. أذكر يومها كان يبث سكاتش للفنان الجزائري حميد عاشوري.. كان في جينريك السكاتش أغنية جميلة وراقصة يظهر فيه الفنان حميد وهو يسرق من الجزار جزرة كاملة لخروف معلق بجانب مدخل المحل الجزار ويهرب مسرعا.. كنا نضحك كثيرا من هذه اللقطة.. وتضحك كذلك زوجتي السويدية حتى يحمر وجهها الأحمر ذكرها الله بخير وشفاها وأعاد لها صحتها.

وعلى ذكر الفن الجزائري في بلاد المهجر.. أتذكر في سنة من السنوات أني درست فن التصوير وهو مقياس إضافي درسته من أجل تكملة النقاط للحصول على منحة الدراسة.. ويوم عَلِم المدرس بأنني جزائري.. أخذ يحدثني عن عشق ابنته للأغنية الجزائرية وخاصة أغنية الراي.. وحسب الأسماء التي ذكرها كان من بينها المرحوم إيدير رحمه الله الذي غادرنا قبل يومين.. قال لي: كلما استمعت ابنتي لأغانيه إلا وبكت كثيرا تأثرا بالموسيقى ولحن الأغاني.. هذا المدرس كان يعشق هو كذلك الصحراء الجزائرية.. خاصة منطقة الأهقار.

الغربة بدون متابعة البرامج الجزائرية والعربية لا تطاق.. لا ذوق للصيام فيها دون تتبع الحصص الفكاهية والسكاتشات.. سكاتشات الزمن الجميل.. وليس المقالب التافهة والفارغة التي أصبحت تبث اليوم، أو تلك التي تسيء إلى ديننا وأخلاقنا وإلى أمهات المؤمنين.

ومنذ تلك اللحظة، لم تفارق منزلي القنوات الجزائرية على اختلافها الخاصة والحكومية.. فهي وسيلة لتتبع أخبار البلد.. وكذلك لإضفاء جو رمضان الجزائر.. وأملي أن يكون مباركا للجميع.. أن نحيا بعشق الوطن.. ورغم بعد المسافات فهو قريب مني بفنه وتراثه وثقافته.. وبكل ما فيه.

رمضان في السويد2

لم تكن الحالة مثل ما هي عليه اليوم، فقبل عقدين أو أكثر بقليل لم يكن أحد يسمع أو يكترث لقدوم شهر رمضان بالنسبة للمجتمع السويدي مثل ما هو عليه الحال اليوم.

فقد أصبحنا نسمع في الراديو وفي مختلف وسائل الإعلام بقدوم شهر الصيام بأسبوع أو أكثر قبل بدايته، وأصبحنا نحن كجالية مسلمة نتلقى التهاني من زملاء في العمل ومن الأصدقاء والجيران السويديين قبل المسلمين، وحتى المحلات المختلفة سواء التي تعود لأشخاص من الجالية المسلمة أو المحلات السويدية تتزين كلها محتفلة بقدوم الشهر الفضيل، فتعرض العديد من السلع التي يزداد الطلب عليها من الجالية المسلمة كما تشهد بعض السلع تخفيضات معتبرة، وسلع مكتوب عليها علامة "حلال" مما يزيدنا نحن المسلمين سعادة وثقة وشكرا فنحمد الله على فضله وعلى الأجواء الرمضانية وكأننا في بلداننا الأصلية.

ولم تتوقف المسألة عند هذا الحد، فشهر الصيام فتح بيننا وبين السويديين نقاشات مفيدة سمحت بتوضيح معاني الصيام والهدف منه، وذلك بسبب طبيعة هذه الفريضة أو التحدي الذي يؤديه المسلم عن رضا وقناعة، يؤدي عمله اليومي دون أكل ولا شرب، وهو قادر على فعل ذلك لو يشاء، ولكن هناك شيء داخلي، ثقة عظيمة، روح تسمو به عن واقعه المعاش تمنعه من ذلك، مما يزيد غير المسلمين دهشة واستغرابا وإعجابًا في كثير من الأحيان.

السويديون عمومًا شعب مولع برياضات التحدي مثل تسلق الجبال، وممارسة رياضة المشي في الغابات الكثيفة، ورياضة التزلج على الثلج "السكي"، والصيد بكل أنواعه وغيرها من الرياضات، ولهذا نجدهم ينجذبون بسرعة إلى الصيام لأنهم يجدون فيه نوع من تحدي الإنسان لجسده بعدم الأكل والشرب لساعات عديدة، ولهذا ففي اعتقادي أن الشعيرة الأكثر قبولا وقربًا للغربيين في الإسلام هي شعيرة الصيام.

وهكذا، أصبح يقام إفطار جماعي من طرف الجالية المسلمة ويحضر بعض السويديين لهذا الإفطار، هناك من يأتي بدافع الفضول، وهناك من يشارك في تحدي عدم الأكل والشرب ثم الإفطار مع الجالية، وهناك من يلبي دعوة الأصدقاء، فأدى هذا التفاعل الإيجابي والتقارب سنة بعد سنة ويوما بعد يوم إلى سقوط العديد من الخلفيات وسوء الفهم وإلى تقدير ثقافة الآخر والتعلم منها، وبطبيعة الحال إلى اعتناق العديد من السويديين للدين الإسلامي.

لقد وعد الله بأن ينصر دينه بعِزّ عزيز أو ذُلّ ذليل، فهذا دين الله ينتشر بين الناس بسلاسة ويسر دون فضل منا على الناس ولا جهد ولا قوة.

رمضان السويد زمن الكورونا

قبل جائحة كورونا كان قضاء شهر رمضان في السويد من أفضل الأيام عندي، طبعًا إذ لم أفكر أنني في الغربة بعيدا عن العائلة الكبيرة وعن أجواء السمر مع الأصدقاء.

فرمضان في فصل الشتاء ساعاته قليلة جدا، دائما ما يحل وقت الإفطار وأنا في العمل، لا أشعر لا بجوع ولا بعطش، أجد متسعا من الوقت لألتقي بالأصدقاء، نتناول مع بعضنا فناجين من القهوة أو كؤوسا من الشاي، نعود إلى بيوتنا وتبقى ساعات عديدة على موعد الإمساك.

أما في فصل الصيف فالأمر مختلف تماما، نهار رمضان طويل جدا، وبعد الإفطار وارتشاف فنجان قهوة يبدأ موعد الإمساك يداهمنا، لكن رغم هذا، سواء أكان شهر الصيام شتاء أو صيفا فله ذوقه وخصوصيته، خاصة مع نشاط المساجد وتأدية الصلاة جماعة واللقاءات التي تجمع الجالية المسلمة من مختلف أنحاء العالم.

أما رمضان هذه السنة مع جائحة كورونا فمختلف تمامًا نفطر في بيوتنا، لا نخرج إلى الصلاة لأن المساجد مغلقة، رغم ذلك فإننا نجتهد في صنع بدائل تعوضنا ما افتقدناه، فنخلق نشاطات ولعب وجوا من المرح والتنكيت تنسينا غربتنا وجائحة كورونا التي تضرب كل العالم.

والحقيقة أن الذي تغير في حياتنا ليس سببه جائحة كورونا كفاعل رئيسي وإنما لأننا فقدنا أعظم شيء ميّز الله به الإنسان بعد نعمة العقل هو نعمة الحرية.

الحرية هي أصل الإبداع، وأصل السعادة، وأصل تأدية الفرائض، بل وأصل الدين كله، هي المحرك الحقيقي للإنسان تدفعه لينطلق في هذه الحياة، عليها تقوم كل نشاطاته من تجارة وبناء واجتماع واقتصاد وفنون... وهي شرط أساسي للحكم على صلاح أو فساد الإنسان، فبدون الحرية يتوقف كل شيء.

فرمضان هذه السنة صعب جدا، نشعر بأننا مقيدين، وحتى عندما نذهب للمول من أجل التسوق لإعداد الإفطار، نشعر بالقلق، نراه مرسوما في وجوه كل الناس، هناك حيرة ممزوجة بخوف وحالة ترقب لا تنتهي، نفتقد كثيرا إلى أحبابنا، نشعر بالحزن لأن رمضان لم يجمعنا هذه السنة، وما يزيدنا ارتباكا هو أنه لا أحد يعلم متى تنتهي هذه الجائحة، ولهذا فالرجاء يبقى لله وحده أن لا يبقيها إلى رمضان السنة القادمة.

الأذكياء يبكون والأغبياء يضحكون

كنت أستمع البارحة وأنا أسوق سيارتي إلى العمل إلى برنامج إذاعي يشارك فيه المستمعون بتدخلاتهم وآرائهم المختلفة حول مواضيع يختارونها بأنفسهم، وهو تقليد من تقاليد الدول الذكية التي استحدثوها منذ زمن من أجل تعلم الاستماع إلى بعضهم البعض لبناء حوار هادئ وخلق أفكار عملية.!!

تدخلت مستمعة من دولة فنلندا وكان في صوتها حشرجة وكأنها تريد البكاء، تكلمت عن هاتف "نوكيا" الذي صنعته دولة فنلندا وعن سنوات مجده، تكلمت بكل حرقة وألم لاختفاء هذا الهاتف ولضيق سعة انتشاره مقارنة بالسنوات الماضية.

هاتف نوكيا كان في سنة 2007 فقط.. ذلك الهاتف العملاق يملك في سوق الهواتف النقالة حوالي 36% ومن أسهم بورصة فنلندا حوالي 50%، لقد كان بكل اختصار وعلى طريقة كلامنا نحن الجزائريون "النيف الفنلندي" الذي لا يسقط ولا ينافس وافتخار ومفخرة كل الفنلنديين.

اتصلت هذه الفنلندية لتعبر عن جرحها وحزنها لأن هذا "النيف" قد أمرغ في التراب من طرف شركة آبل الأمريكية العملاقة ولقد حاول الفنلنديون العمل بكل جهد واجتهاد من أجل إعادة الاعتبار لهذا "النيف" ولهذا المجد الضائع لكن دون جدوى لأن التكنولوجيا سريعة ولا ترحم وهي في تطور باستمرار ولا مكان فيها للنوم أو للتقاعس.

في حقيقة الأمر ليست التكنولوجيا موضوعنا اليوم لكني أردت أن أشير إشارة عابرة وسريعة عن متى ولماذا تبكي الدول الذكية!؟. فهم يبكون عندما يفشلون في تحقيق نجاح وطني أو في تحقيق نجاح إنساني، يبكون لأنهم يحبون أوطانهم بكل عمق ودون صراخ ويريدون لها التطور رغم أن الدول الغربية ناجحة في مجالات كثيرة ومتعددة وفنلندا على وجه الخصوص دولة متطورة في كثير من المجالات وخاصة في مجال التعليم.

أما نحن للأسف الشديد فوطننا بكامله يغرق ونحن نرقص ونغني!؟ وطننا يضيع ولا أحد يبكي أو يصرخ منها لذلك!؟ شبابنا يغرق في وحل المخدرات ولا أحد مهتم لذلك!! كل مصانعنا أغلقت واستبدلت بمصانع بيع المشروبات الغازية والمياه المعدنية والكل يضحك ويبتسم.. بل وما رزقنا به الله من خيرات في قاع الأرض وفي صحرائنا الواسعة قد بيع وأمم لشركات أجنبية ومع ذلك فالكل فرح مسرور يضحك ويغني!!

فهذا الرئيس التركي أردوغان يزور الجزائر مؤخرا مرفوقا بمائة وخمسين رجل أعمال من أجل صفقات قوية واستثمارات واعدة وكل هذا من أجل وضع حد للبطالة التي يعاني منها قرابة الخمس ملايين تركي لأنهم وبكل بساطة أذكياء ومحبون لشعوبهم ولدولتهم تركيا، أما المسؤولون عندنا فلا همّ لهم غير بيع البترول والعيش بمداخيله ولا يهمهم مستقبل الشباب ولا يفكرون بجدية في استثمارات حقيقية لهذه الأجيال وللأجيال القادمة والكل يضحك لذلك ويفرح ويمرح.. المسؤولون عندنا مازالوا يضيّعون كل جهودهم وقواهم الفكرية والعقلية في إحياء عيد الشجرة وعيد الكسكسي وعيد الزيتون وعيد البرنوس

وأعياد أخرى كثيرة ومتعددة، وأهملوا التفكير واستعمال ذكائهم في ما يضمن حقيقة مستقبل الأجيال وما يؤدي إلى ازدهار الوطن وتطويره اقتصاديا واجتماعيا وتعليميا وتربويا ورياضيا ومحاربة البطالة من أجل انتشال الشباب من الضياع ومن الانحرافات التي تهددهم، لأننا وللأسف الشديد وبكل بساطة دولة غبية ولسنا بدولة ذكية.!!

كرة القدم وجنون الانتصار..!!

أنتمي إلى جيل كبُر مع بروز الفريق الوطني الجزائري لسنوات الثمانينات.. حفظنا أسماء كل اللاعبين وأحببناهم كما أحببنا هذا الوطن الجميل.. كنا ونحن صغارا نتدرب عند لعب كرة القدم على الهدف الجميل الذي سجله اللاعب رابح ماجر ضد فريق ألمانيا في مونديال إسبانيا سنة اثنان وثمانون.

كرة القدم جزء لا يتجزأ من الجيل الذي أنتمي إليه.. مارسناها ونمارسها من أعماق القلوب.. ونعشق الانتصارات والإنجازات لفريقنا الوطني.. لأن ذلك يعتبر انتصارا وإنجازا للوطن كله.

أعترف بأنه لي عادات سيئة عندما أشاهد مباريات الفريق الوطني خاصة عندما يشارك في منافسة مهمة مثل كأس العالم أو كأس إفريقيا.. فقبل بداية المباراة بعدة ساعات أشعر بالتوتر والقلق.. ويصيبني ضيق في التنفس وضعف في البصر.. لا أقدر لا على القراءة ولا على الكتابة.. تقل رغبتي في العمل.. وأقضي جُل تلك الساعات قبل المباراة شاردا وخائفا!!.

أما عند مشاهدة المباراة فإن رأسي يؤلمني وترتفع درجة حرارة جسدي.. وأشعر وكأنني أصبحت مثل المدفأة تنشر حرارتها على كافة نواحي المنزل.. والذي يقترب مني أو يكلمني فإني أصبح مثل اللغم المتفجر يصيب كل من يحيط به أو من يقترب منه.

لابد وأن أترك مساحة شاسعة بيني وبين التلفاز عند المشاهدة.. وذلك ليس خوفا على التلفاز من الضرر والانكسار.. لكن لأنه في حالة الفوز فإني وبدون شعور أبدأ بالقفز والدوران

مثل لاعب رياضة الجمباز وأرتمي على قدميّ وكأني محترف رياضة الجيدو وأبدأ في ممارسة حركات لا شعورية.. أذكر يوم لعب المنتخب الوطني الجزائري مباراته الشهيرة ضد الفريق المصري شاهدت المباراة مع صديق عزيز أصلع الرأس وعندما سجل عنتر يحي هدفه الشهير وجدت نفسي أمسك برأس صديقي الأصلع وأقبله بكل قوة.. المسكين، بقى رأسه الأصلع أحمرا لعدة أيام!!.

لكنه وحمدا لله فإنه مع مرور الوقت والسنين بدأت أتخلص من هذه العادة السيئة.. ولجأت في ذلك إلى حيلة ذكية ساعدتني كثيرا على الحد من الضغط والتوتر.. فأصبحت عند مشاهدة المباراة أغلق نهائيا صوت التلفاز وأشاهد بذلك المباراة بدون صوت لأني لاحظت بأن تعليق المعلقين يزيد من توتري ويرفع من ضغطي.. ثم أحمل بين يدي وأنا أجلس جهاز الكمبيوتر المحمول.. وأحاول أن أناصف النظر بين شاشة التلفاز وشاشة جهاز الكمبيوتر.. لقد كانت خطة مفيدة وعملية.. فمرت المباراة الأخيرة بين المنتخب الوطني ضد فريق ساحل العاج بردا وسلاما رغم الخسارة الثقيلة وغير المنتظرة التي منينا بها.

من المؤكد أنني لست الوحيد بين شباب الجزائر من يصاب بهذا الهوس.. فمثلي كُثر، لأننا جعلنا من خسارتنا لأي مباراة وكأنها خسارة للوطن وهذا ما يجعلنا نتصرف بهذه الطريقة.. لكن بعد نهاية المباريات سواء توج منتخبنا أو لا، فإنني أضحك كثيرا على تصرفاتي وقلقي وعن التوتر الذي أصابني.. وأجد بأن أشياء كثيرة مهمة قد تعطلت بسبب ذلك القلق والتوتر وحب

الفوز.. ثم أبدأ أسأل نفسي: هل حقيقة هذه هي التحديات الحقيقية التي تنتظرنا نحن شباب الجزائر!؟.

فأعود إلى رشدي وأجيب: إن التحديات الحقيقية التي تنتظرنا أكبر وأسمى وأجّل من لعبة كرة القدم.. تحدياتنا اجتماعية واقتصادية وثقافية وسياسية تتطلب الجهد والعمل والصبر لتحقيقها.. التحدي الأكبر هو أن نحافظ على هذا الوطن ونجنبه أيادي العابثين.. التحدي الحقيقي هو خدمة هذا الوطن حتى يصبح من أجمل الأوطان.. التحدي الأسمى هو أن نحب بعضنا البعض ونفهم بأن هذا الوطن للجميع ويضم الجميع دون إقصاء أو تهميش.. التحدي المطلوب هو مواجهة وعلاج المشاكل الاجتماعية التي تتكاثر وتتشعب كل يوم.. المطلوب هو أن تعمل الحركات الجمعوية على التصدي لها من خلال العمل الجواري حتى نقضي على الآفات التي تفتك بالشباب وخاصة المخدرات والعنف اللفظي والجسدي.. نجاحنا اقتصاديا وزراعيا هو الضامن الوحيد لاستمرارية وجودنا وتطورنا.. علينا أن نهتم بالثقافة بكل فروعها ومجالاتها.. لابد أن نوجه الشباب إلى حب المسرح وحب تراثنا الفني بكل أنواعه وأن نوفر له المكان والتكوين الذي يمكنه منهما.. لابد وأن ننجح في كل المجالات المهمة والأساسية التي ترفع الدول والشعوب.. وعندها تصبح لعبة كرة القدم مجرد ترفيه وتشويق غير ضارة ولا قاتلة ولا رافعة للسكري ولضغط الدم مثلما يحدث لكثير منا.

كورونا وسلاح الوعي

الوعي سلاح، وهو سلاح قوي، يصد عن المجتمعات معظم الأخطار، ويمنع عنها كل الغزوات، بما في ذلك الغزو الاقتصادي والسياسي والثقافي والاجتماعي.

حتى في حالة إذا ما سقطت دول وانهارت شعوب، بسبب حرب أو كساد اقتصادي، فإن الدولة التي تعود بسرعة إلى مستوى الدول الرائدة هي تلك الدولة التي استثمرت في وعي شعبها، وبنت مؤسسات قوية لها مصداقية، تُسيّر المجتمع وتوجهه عند الحاجة.

ولا يوجد استثمار من أجل بناء هذا الوعي أفضل من العلم وطلب العلم ونشر العلم، فالعلم قيمة لا تضاهيها أي قيمة قيمة لا خسارة فيها ولا كساد ولا إفلاس، وإنما ربح وتجارة لن تبور.

ولقد كشفت أحداث فيروس كورونا الذي نعيش في هذه المرحلة، بأن الشعوب المنضبطة والواعية والتي تفهم بالإشارة تخرج من هذه المعضلة رويدًا رويدا، رغم صعوبة التحديات وخطر هذا الفيروس وسرعة انتشاره، أمّا الشعوب غير المبالية والتي يقل فيها منسوب الوعي أو ربما ينعدم تماما، هي التي ستدفع الثمن، ولو عاشت حالة انتشار هذا الوباء مثل ما عاشته مثلا دولة الصين الشعبية لأعدمت بالكامل ولمسحت من خارطة العالم.

الصينيون بالرغم من كل شيء أثبتوا للعالم أجمع بأنهم شعب واعي ومنضبط، وهذا سرّ قوتهم، وهم قليلوا الحديث كثيروا العمل، يعيشون على هدف، لا يضيعون أوقاتهم في المقاهي ولا في التسكع في الشوارع، يعظمون الوقت... ولقد شاهدنا بأم أعيننا كيف عملوا وكيف اجتهدوا لمحاربة فيروس كورونا، وما أظهروه من وعي وتآزر وتضامن ومن جدية في ردة فعلهم نحو هذا الخطر.

أمّا نحن المستهترين، ورغم أننا أمة العلم، وقرآننا يأمر بالعلم، ورسولنا يأمرنا بطلب العلم ولو في الصين، ونحن في شهر العلم، ولنا من الجامعات والمدارس ما شاء الله... أثبتت أحداث فيروس كورونا التي نعيش، بأننا دون وعي، ولا ندرك مخاطر الفيروس، ولا نستمع أو ربما لا نكترث لنصائح المختصين، وغير مهتمين لا بحياتنا ولا بحياة غيرنا... المقاهي مفتوحة، والأعراس في كل مكان، والرقص على أنغام "أغنية" كورونا، والجميع يتجول في الشوارع ويتسوق في الأسواق، وكأن الأمر لا يعنينا أو أننا نعيش في كوكب آخر.

ربما ستفتح أحداث كورونا أعيننا على أشياء كثيرة تتطلب مراجعات سريعة ودقيقة، إعادة النظر في منظومتنا التعليمية وفي المؤسسات القائمة، إعادة النظر في مفهوم الفضاءات العامة، الوعي بقيمة الوقت، وكيف نقضي أوقاتنا، بنظافة المكان واحترام الخصوصيات، بوجوب العمل، ومفهوم الحق والواجب... كورونا ستعلمنا بأن أكبر الأخطار تواجه بالوعي حتى ولو كان هذا الخطر لا رائحة ولا ذوق له ولا يرى بالعين المجردة.

كورونا.. المجتمع والعنف

ما يخيفني بعد رفع الحجر الصحي، وعودة الحياة نوعا ما إلى طبيعتها، ومع الدخول الاجتماعي والدراسي الجديد.. أن نجد أنفسنا أننا لم نتعلم من أزمة جائحة كورونا شيئا، خاصة وأن هناك مؤشرات عديدة تدل على هذا التخوف والقلق الذي نشعر به.

إن جائحة كورونا، وكما أشرنا في مقالات سابقة، من المفروض أنها علمتنا دروسا قاسية وعظيمة، علمتنا عمليا ونظريا، رأينا بأم أعيننا بأن الأعمار قصيرة، وأن لا نجاة لنا حتى نتعلم كيف نعيش ونحترم بعضنا بعضا، وأن الأحداث الهامة لابد أن نتعامل معها وكأننا في حالة حرب، وأن الهمّ واحد والحاضر واحد، والمستقبل نصنعه بأيدينا، فإما أن يكون لنا أو يكون علينا.

ومما لاحظناه بعد بضعة أيام فقط من تخفيف الحجر الصحي، عودة حوادث المرور بشكل ملحوظ كما أشارت إلى ذلك وسائل الإعلام المختلفة، علمًا بأنها تخطف كل سنة آلاف الأرواح، وهي عنف غير مبرر على الأفراد وعلى المجتمع، وتكلفتها ثقيلة جدا. كما لاحظنا كذلك، عنفا يمارس على الطبيعة بشكل عام، أوساخ في كل مكان، خاصة على شواطئ البحر، حيوانات أليفة تتدافع مع الناس، عنف يمارس على المصطافين من أجل إجبارهم على دفع المال من أجل ركن سياراتهم ومن أجل ضمان مكان على الشاطئ، وإلاّ فمصيرهم ومصير سياراتهم الطرد والتكسير.!!

وقد علمتنا أحداث التاريخ، بأن أثناء وبعد كل أزمة تعرف الشعوب حالات شغب وانفلاتات، سرقات وعنف يمارس بين الجماعات والأفراد، وسبب كل هذا هو محاولة تعويض ما فات فيبحث من حُرم تعويضا من المجتمع عن ما حرم منه، ويبحث الذي خسر تعويضا من المجتمع عن ما خسره، ويبحث كل من ضاع منه أو ضيّع شيئا تعويضا عنه من المجتمع، فيدخل الجميع في حالة هستيرية قد لا تلاحظ عند غير العارفين بسيكولوجيا الأفراد والجماعات، لأنها قد تحدث بشكل خافت غير ملفت للانتباه، فيزيد الغش، والعنف، والتطرف والاختطاف، والإجرام، وغلاء المعيشة، والابتزاز، والتزوير وتستباح العديد من الممنوعات، كما أنها مناسبة مواتية لتمرير العديد من السياسات.

كما أنه لا أحد يعلم لحد الآن ما حدث لأطفالنا وشبابنا خاصة المراهقين بعدما يقارب الخمسة أشهر من مغادرتهم لمقاعد الدراسة والبقاء في البيوت، لكنهم منغمسون في عالم الأنترنت والشبكات العنكبوتية العميقة، ومواقع الظلام وأفلام وألعاب العنف التي تستهدف الأطفال.. ولا ندري ماهي نتائجها في الواقع، هل سنشهد عنفا متزايدا من طرف الشباب والأطفال في المدارس؟ أم أننا سنصطدم بضعف نتائجهم خاصة في المواد التي تتطلب ذكاء وتركيزا؟ أم أنه سينتج لنا جيل ينسى واقعه والحياة الاجتماعية ويحبذ المكوث في البيوت وتفضيل حياة الوحدة والتوحد والعيش في العالم الافتراضي ؟.!

لست متشائما، وليس من عادتي تضخيم الأحداث أو وضع افتراضات غير واقعية، ولكن ما أشرت إليه، قرأناه ولمسناه في مجتمعات أفضل منا من الناحية الاقتصادية والسياسية والثقافية، يعيش شبابها بطالة بنسبة أقل بكثير من حالتنا، بل ومعظمها يعيش رفاهية وتقدما حضاريا يفوقنا لسنوات عديدة.

إذن، فثلاثية كورونا والمجتمع والعنف، ستستمر معنا في التحليل وستلقي بظلالها على كتاباتنا وأفكارنا وآرائنا -في رأيي الشخصي- على الأقل لسنتين أو لثلاث سنوات قادمة، حتى نتمكن من حل شفرة ما حدث وما بعد الحدث، ونفهم تأثير وتأثر كل واحدة منها على الأخرى، كما أننا لم نقرأ بعد أبحاث جادة ودراسات ميدانية قوية في هذه المواضيع، خاصة دراسات تتناول فترة انقطاع الأطفال والشباب عن الدراسة وبقائهم في بيوتهم في اتصال وتواصل مع الشبكة العنكبوتية العميقة.

إن أمنياتنا أن نكون قد تعلمنا حقا من تلك الفترة العصيبة التي عشناها مع جائحة كورنا، وأن تكون الفترة ما بعدها فترة أجمل وأفضل لنا جميعا، أن نتدارك ما فات ونحن نفكر كضمير جمعي وكمجتمع وكجماعة من المواطنين، وأن نتدارك سريعا أخطاءنا إن كانت البدايات والانطلاقة خاطئة، ولنا في ذلك ضوابط قوية قادرة، الدين والتقاليد والقانون.

جنوب الجزائر.. مواقف وانتصارات!!.

لا أدري لماذا عندما يحقق المنتخب الوطني الجزائري إنجازات جميلة في كرة القدم أبقى جاثما في مكاني بعد كل مقابلة دون أن أتكلم أو أحرك ساكنا.. وأصبح وكأنني وليّ من أولياء الله الصالحين يبحث بهدوء وبكل سكينة عن الكمال الذي يقربه إلى الله.. إلاّ أن حقيقة ما يحدث لي هو أنني أكثر من طرح الأسئلة الاعتيادية على نفسي والتي من المؤكد أنها تخطر على بال الكثيرين، خاصة من يعشق وطنا وشعبا بحجم الوطن والشعب الجزائري!!.

لماذا يا ترى يبدع اللاعبون في كرة القدم ويقدمون الأفراح والأمل للشعب المغبون ولا يفعل ذلك المسؤولون عندنا!؟.. لماذا تبقى فقط كرة القدم هي المتنفس الوحيد والسبيل الأوحد لكي يقول من خلالها الشباب بأنه مازال يتنفس ويعيش ويحيا.. بعدما صُدّت في وجهه كل الأبواب وقُطعت عنه كل الطرق من أجل بناء مستقبله!؟.

المعلق الرياضي السيد عبد الحفيظ دراجي في خطأ غير متعمد وهو يعلق على مباراة الجزائر ضد فريق غانا يذكر بأن اللاعب الجزائري الماهر ياسين إبراهيمي أنه ابن مدينة بسكرة فتنهال عليه المئات من الرسائل من طرف أبناء منطقة أولاد جلال مصححين له بأن ياسين هو ابن منطقتهم، رغم أن اللاعب ياسين لم يولد في تلك المنطقة وقد لا يكون زارها أبدا من قبل، إلاّ أن اعتزاز أبناء منطقة أولاد جلال به لدليل على أن شبابنا في عمومه يحب ويعشق من يمثله أحسن تمثيل حتى ولو

لم يولد على أرض الجزائر.. ويكره ويبغض ويتنكر للفاشلين حتى ولو كان مسؤولا كبيرا في الدولة وولد وترعرع في أرض الجزائر!!.

إننا عندما نوفّر للشباب ما يتطلبه عصرهم من مرافق ومنشآت رياضية أو مرافق أخرى في مجالات متعددة وكثيرة.. فإنه من المؤكد أنهم سيصنعون الفارق ويحققون بذلك ذواتهم ورغباتهم.. وهذا بالضبط ما حدث لهذه العناصر الرائعة التي يتشكل منها هذا الفريق الوطني - الذي نتمنى له كل النجاح والتوفيق في الأيام القادمة - فعندما وجدوا الاهتمام من الدولة أو الدول التي ولدوا بها.. دول تعتني عناية كبيرة بالأطفال وبالشباب وتوفر لكل مواطنيها المرافق الرياضية ومنشآت أخرى مثل دور الثقافة والفنون فإنه من المؤكد بأن هذا الشباب سينجح ويبدع في المجالات التي يهوى ويحب.. مثلما يفعل الآن هذا الجيل وما يصنعه آخرون في مجالات كثيرة ومتعددة عبر كل بقاع العالم.

وهكذا هي العملية.. سهلة وبسيطة.. لا تتطلب الكثير من الذكاء والفطنة والتمعن حتى نفهمها.. وهكذا هي سنة الله في خلقه إذا استثمرنا في الإنسان وخاصة في الشباب فإنهم سيبهرون ويقدمون أحسن ما لديهم.. وهذا لا ينطبق على المجالات الرياضية فحسب بل في جميع المجالات الأخرى.. كالإبداع والتفوق العلمي وفي التسيير وفي تحمل المسؤوليات والمناصب السياسية لبناء دولة قوية.

لقد أصبح واضحا للعيان بأن مشكلتنا الأساسية هي في من يسوسنا.. فهم غير قادرين على إحداث تلك النقلة المرجوة لتتحرك عجلة الوطن نحو الأحسن.. الذين يسيروننا - للأسف

الشديد - ليست لهم طموحات شباب اليوم الراغب في إعمار وطنه ورفعه إلى مصف الدول المتطورة والمتقدمة وفي تحقيق الانتصارات.. الذين يقودوننا للأسف الشديد لم تعد لديهم تلك القدرة العقلية والنفسية وتلك الإرادة القوية من أجل أن يتطور الوطن من سنة لأخرى نحو الأحسن والأجمل لا نحو السيء والأسوأ مثل الذي يحدث اليوم.

لقد أثبت شباب الجزائر بأن لهم وعي ثاقب وإرادة فولاذية في حب الخير لوطنهم وفي تحقيق الانتصارات والأفراح.. لقد أثبت شباب مدينة عين صالح وكل شباب الوطن وعيهم بمخاطر الاستثمار واستخراج الغاز الصخري.. لقد أثبتوا بكل وعي وهدوء معرفتهم الدقيقة بهذا الملف فخرجوا نسوة ورجالا.. كبارا وصغارا.. لكي يسمعوا أصواتهم وكلمتهم للحكومة وللمسؤولين.. في الوقت الذي تقف فيه رئيسة حزب ضد اختيارهم لتساند الحكومة وتعطي لها كل الصلاحيات من أجل أن تفعل ما تريد بهذا الوطن ولتتحكم في مصير ومستقبل أهلنا في الجنوب الجزائري، رغم أن كل الأدبيات التي يعرف بها حزبها هي الوقوف مع الشعب المسكين ومع الطبقة الكادحة ضد الحكومات.. لكنه الريع وأموال البترول واستثمارات إسبانيا هي التي تتكلم وتندد و تدافع هذا الدفاع المستميت!!.

أنا اليوم جد معجب وفخور بالذي يحدث في الجنوب.. في غينيا الإستوائية وفي الجنوب الجزائري.. أبطال يرفعون العلم الجزائري ويبعثون برسائل الفرح والفخر للشعب الجزائري وذلك بانتصاراتهم المتتالية والتي نتمنى أن تدوم.. وفخور بالوعي الذي وصل إليه إخواننا وأهلنا في الجنوب الجزائري رغم الظلم

والتهميش وأكل حقوقه وذلك من خلال وحدته وشجاعته ووقوفه ضد كل من يريد أن يدمر حياته وحياة طبيعته ويفسد عليه صحراءه.

أيها المسؤولون: اخدموا شعبكم سيحقق المعجزات.. آمنوا بالشباب سينجز الإنتصارات.. لا تفرقوا بين شباب الشمال وشباب الجنوب في تكافؤ الفرص والإستثمارات.. والوطن في حاجة لكل أبنائه في كل بقعة من بقاع هذا العالم الفسيح لكي يتجدد وينطلق نحو العُلى.

لسنا "شارلي إبدو" ولا "شرلي شابلين"..!!

يذكر الممثل والمخرج شارلي شابلين في مذكراته بأنه من أجل صناعة كوميديا جميلة فإنه يحتاج إلى: منتزه وشرطي وفتاة جميلة.. كما أنه يعتبر دور العقل في التمثيل شيئا ثانويا، ويشدد على أهمية ما يسميه في فن المسرحية فن التحفظ حيث يعرف متى وكيف يغلق كتابا فجأة أو يشعل سيجارة أو يطلق طلقة رصاص من مسدس مفاجأة، أو صرخة غير منتظرة أو ضجة سقوط أو نسيان قبعته وعصاه ثم يعود ليتذكرهما وأخذهما كل هذا يعتبر عند شابلين مهم جدا فرغم بساطتها إلاّ أنها تعطي نكهة في التمثيل إذا أحسن تمثيلها واستعملت بدراية وذكاء.

شارلي شابلين لم تُعطَ له الجنسية الأمريكية رغم إقامته الطويلة وتمثيله وإخراجه للعديد من الأفلام بها، لأنه اعتبر شيوعيا ومحاربا للرأسمالية، لكنه لم يكن يأبه لذلك لأنه لم ير ضرورة لتغيير جنسيته وكان دائما يعتبر نفسه مواطنا عالميا لقد استطاع أن ينتصر في كل المحاكم التي أقيمت له بسبب أفلامه التي كان يمثل ويخرج وأفكاره التي كان يظهر، وقد قال فيه يوما "لاين فوشتغانجر": أنت الفنان الدرامي الوحيد الذي سيبقى في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية لأنه أثار التناقض السياسي لبلد بأكمله.

وهكذا تمت تمثيلية "شارلي إبدو" بكل التفاصيل والأدوات التي كان يستعملها شارلي شابلين، شرطي قتل دون أن نرى دما بطاقة التعريف لأحد المتهمين تُنسى فوق مقعد السيارة دون أن

ينتبه لذلك وكأنه سارق مبتدئ بل وينسى كذلك حذاءه الرياضي ليتم التعرف عليهما بعد ذلك مباشرة!!.

ومن بعيد، وبواسطة كاميرا لهاتف نقال نسمع أصواتا وصراخا وطلقات رصاص ومع كل هذا استطاعوا كذلك أن يميزوا بأن المتهمين قد كانا يصرخان بعبارة "الله أكبر".. وفي المتجر اليهودي تقول إحدى المحتجزات بأن أحد المتهمين له عينان زرقاوان جميلتان!!.. ثم يتم القضاء عليهما رغم أنه كان بوسع الشرطة أن تقبض عليهما على قيد الحياة فهي لها من الوسائل العديدة والإمكانات لفعل ذلك.. لكنها تفضل القضاء عليهما مثل قصة الشاب مراح قبل سنوات دون أن نرى صورا لهما.. وتستطيع بعد ذلك تلك الفتاة أن تفرّ مع جموع النسوة اللاتي كن محتجزات ليُعلن بعد ذلك بأنها فرت إلى تركيا ومنها إلى سوريا وكأن طيرا قد حملها من باريس ورماها في تركيا دون أن يراها أو يعترض طريقها أحد!!.

إنها نفس وسائل التمثيل التي تحدثنا عنها التي كان يستعملها شارلي شابلين من فتاة جميلة وسلاح وشرطي.. لكن الفرق أن شابلين كان بارعا في التمثيل والإخراج لدرجة أنه بواسطة السينما الصامتة التي كان يتقن استطاع أن يضحك الصغار والكبار وحتى العجائز، لكن ما حدث لجريدة "شارلي إبدو" لم يكن غير تمثيل بسيط ورديء وقع من نسج هذا في أخطاء عديدة، لكن الغرب تعود أن يفعل كل شيء دون أن يوقفه أحد أو تتكلم عن خططه الصحافة التي تدعي حرية التعبير إلاّ في سبّ الرسول وتشويه مواقفه.. تعود أن يفعل كل شيء من أجل أن يحصل على كل ما يريد.

وستعيد رغم الذي حدث جريدة "شارلي إبدو" نشر الرسومات المسيئة لرسول الله ولكل المسلمين في المشرق والمغرب، وسيزداد مع ذلك جدال ونقاش طويل، وقد يزداد كذلك التطرف ورد الفعل المقابل وقد نشاهد أحداثا مماثلة في المستقبل لأنه وللأسف الشديد المثقف في الغرب أصبح بعيدا كل البعد عن القضايا الأساسية التي تهم الإنسانية وأصبح يرمي بنفسه في متاهات وهوامش كنا نعتقد بأنها من المسلمات عنده أن لا يتعدى على معتقدات الآخرين ولا عن تقاليدهم.. رغم ذلك فنحن نستنكر قتل الأبرياء والإعتداء على الحريات الفكرية مهما كان السبب.

وفي خضم كل هذه الأحداث لن أضحك لتمثيل "شارلي شابلين" ولن أحزن أو أهتم لما تفعله "شارلي إبدو".. فحزني لفقداننا خلال هذا الأسبوع لقامة من قامات الصحافة والفكر وكلمة الحق يكفيني.. فقدنا سيدا عزيزا وكريما مثقفا ورجلا إنه الأستاذ النذير مصمودي رحمه الله، الذي ترك في قلوبنا جُرحا وألما لتقصيرنا بالسؤال عليه، لقد جمعتنا به السنوات الخوالي وعرفناه محاورا وصاحب ثقافة واسعة وصاحب مداعبة ومزاح ونكت لا يمكن أن تتوقف في حضرته من الضحك والتعلم من مغامراته الكثيرة.

كان دائما يشجعني رحمه الله ويقول لي: إني أقرأ لك يوميا فلا تتوقف عن الكتابة أبدا، ومن أجل تشجيعي كان يقول لي متواضعا: كلما أقرأ لك تعليقا على صفحتي في الفايس بوك أشعر بالإرتباك.. قلت له يوما: لماذا لا ترجع إلى إقامتك السابقة في فيينا لكي تريح نفسك من مشاكل الجزائر، فرد عليّ رحمه

الله: "كرموس الجزائر خير من تفاح أوروبا".. ونحن اليوم بين الحقيقة والخيال.. بين الإيمان والتكذيب.. بين الألم والأمل لا يسعنا إلاّ أن نقول: لسنا "شارلي إبدو" ولا "شارلي شابلين" بل نحن على نهج الأستاذ النذير في الكتابة الصادقة والوعد الصادق والقلم الحرّ والرجولة الصادقة.. رحمة الله عليه.

لماذا يجب أن ينجح شبابنا..!؟

اليوم تمر عليّ ذكرى مؤلمة وحزينة.. اليوم تمر اثنا عشرة سنة بالتمام والكمال على وفاة صديق عزيز.. كان في ريعان شبابه.. رب عائلة تتكون من زوجة وابنة صغيرة وولد لم يره أبدا.. اليوم تمر ذكرى وفاة السي لخضر رحمة الله عليه.

الموت كانت سريعة وخاطفة.. أخذته من بين أيدينا دون وداع عندما كان يمارس رياضة الغطس في إحدى بحيرات مدينة ستوكهولم.. اليوم يفتح الجرح مرة أخرى وتعود الآلام والذكريات الممزوجة بالأشواق والأشواك.

السي لخضر.. هكذا لقبه وسجله أبوه في دفتر العائلة.. ليسقط التكلفة عن أصدقائه فيما بعد ليضيفوا له "السي".. فعاش سيدا محترما تاركا وراءه أثرا جميلا.

كان السي لخضر رحمة الله عليه عصامي التكوين.. نجح في تكوين عائلة وهو في بداية شبابه عندما كان طالبا يدرس بالجامعة.. عاش لقضايا الإنسان عموما ولقضايا العالم العربي والإسلامي خصوصا.. أعطى من وقته وجهده في سبيل تعليم أبناء الجالية العربية في المهجر.. كما أنه كان رحمة الله عليه يساهم بالمال في تدعيم الجمعيات الخيرية التي تعتني بالأيتام وبالعمل الخيري عموما.

نجح في دراسته وتوظف في إحدى البنوك بالسويد.. عاش حياة كاملة رغم قصرها.. كان يتحرك بمعالم واضحة.. متطلعا بكل أحداث العالم.. منشغلا بهموم الوطن.. مشاركا آلام وآمال الشعب.. مثقفا ملتزما وخلوقا.. واثق النفس متأدبا ومتواضعا.

كنت دائما أعتبر هذا الصديق رمزا وقدوة حقيقية لكل الشباب العربي الذي يعيش في هذه الغربة.. في طلب العلم والبحث عن الكمال والعمل ليل نهار على تطوير نفسه وإثبات وجوده.. وعلى العيش الحياة الحقيقية التي ترتكز على عناصر العطاء والإجتهاد والإستمرارية.

قد يكون مفهوم الغربة لدى الكثير من الشباب العربي هي جمع أكبر قدر من المال والبحث فقط عن العيش الرغد بأي طريقة وفي أي مستوى كان.. لكن الشاب الذي يمكن أن يعتمد عليه وطنه هو الذي يستطيع أن يفهم ويصل إلى معرفة العقلية الغربية الناجحة ويحاول أن يتعلم منها وينفع وطنه وأمته بذلك.. فكم من خير سيعود لأوطاننا لو أخذ كل واحد منا فكرة جميلة وحاول تطبيقها هناك.!؟

كما أنه من الخطأ الفضيع أن تربي العائلات العربية المهاجرة أبناءها بنفس التربية التي تربت بها هي في بلدانها الأصلية.. فيكبر الأبناء على حب المال والتمسك بأي عمل من أجل تلبية متطلبات العائلة.. فيكبر جيل يلهث وراء جمع الثروة.. فاشل في دراسته وفي تحصيله العلمي.. غير مدرك لأهمية النجاح والوصول إلى مستويات عليا.. ليكون عنصرا فعالا وفاعلا في خدمة الإنسانية بالأفكار والمبادئ التي يؤمن بها.. وبالتقاليد التي تربى عليها.. فانتماؤنا الإنساني وتوافقنا على مجموعة من الأفكار لا يعني ذلك أن يذوب التمايز الذي بيننا وبين شعوب الغرب.

السي لخضر رحمة الله عليه كان مدركا إدراكا جيدا لهذه المفاهيم الأساسية.. فكان حريصا على أن يخرج من زرع الجالية المهاجرة جيلا متعلما يمارس المهن النبيلة.. مندمجا بوعي في

المجتمع الغربي.. جيلا يفقه السياسة ويمارسها.. يؤمن بالعمل الإنساني ويتجند لذلك.. جيلا يتابع ما تنشره الصحافة عن تقاليده ودينه ويستطيع الرد على ذلك قولا وكتابة.. جيلا يمارس المحاماة والتمريض والتعليم ومنتشرا في كل شؤون الحياة الأدبية والفنية.

إن ذكرى وفاة السي لخضر رحمه الله ورغم الآلام التي يذكرني بها الثالث من شهر أكتوبر من كل سنة إلاّ أنها تبقى عظيمة في نفسي لأنها لا تختلف عن أيام مولد أو وفاة العظماء.. فالموت حق لا أحد يستطيع تقديمها أو تأخيرها.. لكن مصيرنا ومصير أمتنا بأيدينا فماذا نحن فاعلون.!؟

ماذا يريد الإسلاميون من الإسلام..!؟

كثيرا ما يتردد عبر الخطب والمواعظ الدينية وكذا عبر كتابات أكثر الإسلاميين بأن المستقبل لهذا الدين وأن النصر لهذه الأمة قادم لا محال، ويجزمون على ذلك بأن التأخر الذي يعيشه المسلمون عن باقي الأمم سببه عدم تطبيق الدول والشعوب التي ينتمون إليها تعاليم الإسلام وشرائعه.. والحقيقة التي يجب أن ينتبهوا إليها هي أن سبب التخلف مرده للفهم العليل والضيق للإسلام وتعاليمه لا في تطبيقات نصوصه وأحكامه.

فالنبي محمد صلى الله عليه وسلم قبل أربع عشرة قرنا أكد بأن الإسلام جاء لكي يتمم مكارم الأخلاق، جاء ليتمم لا من أجل أن يلغي ما وجد ويبني بناءا جديدا، جاء من أجل أن يتمم ومن أجل أن يصحح ومن أجل أن يُقّوم.. هذا قبل زمن بعيد أين كانت الجاهلية والإنحطاط الأخلاقي والكفر والشرك منتشر بشكل كبير.. أما الآن فماذا يقول الإسلام عن هذه المجتمعات التي نرى ونسمع ونقرأ ونعاشرها.. فأخلاقها تفوق كثيرا أخلاق العرب في ذلك الزمن.. والعدل يمارس في جميع شؤون حياتهم والثروة من حق الضعيف والقوي وللمرأة وللطفولة حقوق تفوق بكثير ما عاشته المرأة في ذلك الوقت.. بل وأصبحت حتى للحيوانات قوانين ومؤسسات تدافع عنها ومستشفيات ومراكز للحضانة وللترفيه.!؟

أعلم جيدا بأن أكثر الإسلاميين لا يهدأ لهم بال حتى يروا بأم أعينهم عودة المهدي المنتظر من أجل نصرتهم.. فأغلبهم يحلم بالخلافة وقتال الكفار وامتطاء الخيول وسلّ السيوف والنفير

من أجل نشر الإسلام.. أو نزول عيسى عليه السلام من أجل أن يترأس تلك المعركة التي سيفصل فيها بين الكفار والمؤمنيين ثم يُقيموا بعد ذلك دولة الحق ودولة القانون.!!

أعلم جيدا بأن جل الإسلاميين لا تقر لهم عين حتى تتغير كل المسميات وتتحول إلى مسميات إسلامية ليفرحوا بنصر الله وأن الدولة المنشودة قد تحققت.. لا بد أن يكون هناك مقهى إسلامي ومسرح إسلامي والعيادة الإسلامية والمطعم الإسلامي والزواج الإسلامي والسيارة الإسلامية ليهونوا من روعهم وتطمئن قلوبهم ويفرحوا بنصر الله وعطاء منه وفضل.!!

فنحن للأسف الشديد لم نفهم بعد جيدا حقيقة الإسلام ولم نفقه كنهه وغاياته ومقاصده.. الإسلام ليس دين الرهبنة ولا دين العزلة وإنكار تواجد الآخرين.. الإسلام جاء من أجل الحب والسلام لكل البشرية.. فهو دين الحرية والتفكير والتفوق العقلي والعملي.. الإسلام دين الإبداع والفنون الجميلة، يستحسن كل خطوة جيدة يقدمها كل إنسان لهذه البشرية.. الإسلام جاء بحرية المعتقد واحترام ديانة وقناعات الآخرين.. الإسلام خاطب في أكثر من آية الإنسان ككائن عظيم يريد له الخير والفلاح والفوز بالإيمان بالله والإقرار بعبوديته له.

الإسلام جاء من أجل أن تتشارك جميع الأمم ولكي تتعاون كل الأفكار المعتدلة من أجل حياة أفضل للإنسان.. الإسلام جاء من أجل البحث العلمي وذلك بالرفع من قدر عقل الإنسان من أجل تطوير سبل عيشه وصون كرامته.. بل الإسلام يدعو المسلمين للمشاركة بالجهد والمال والفكر من أجل مواصلة ما وصل إليه الغرب من تطور علمي وثقافي وإنساني باهر.

الإسلام - لو يفهم الإسلاميون - جاء من أجل ترشيد وتصحيح ما قد يترتب من انحراف قد يسلكه الإنسان.. فالمسلم عندها يكون المبلغ والناصح والشاهد فقط، لا القاضي والحاكم على الناس بالجنة أو بالنار.

الإسلاميون للأسف الشديد في عصرنا هذا لن يستطيعوا أن يضيفوا شيئا لما وصلت إليه عقلية الرجل الغربي وذلك بسبب التخلف الذي يعيشونه على المستوى الفكري والفهم التقليدي للإسلام المكسوا بطبقات كثيفة من القشور والتقاليد البالية والتفاسير الخاطئة لنصوص الدين ولاستحواذ المراجع الضالة على ممرات تطورها وانتعاشها.. فأكبر خطأ يمارسه الإسلاميون على الإسلام وعلى مجتمعهم هو تصورهم إمكانية تطبيق الفترة المزدهرة من التاريخ الإسلامي في عصرنا هذا بكل مصطلحاتها ومفاهيمها وقيمتها الأخلاقية والفكرية.. لن يصلوا للأسف الشديد لما وصل إليه الغرب حتى يقوموا بغربلة التاريخ الإسلامي ويفهموا جيدا معنى الدولة ومعنى العمل وقيمة المسؤولية.. بأفكار الإسلاميين الحالية لن يستطيعوا زيادة أي شيء للعالم وللغرب إلاّ أن يقولوا لهم: قولوا لا إلله إلاّ الله محمدا رسول الله لتفلحوا في الآخرة كما فلحتم في هذه الدنيا.!!

مستقبل الأوطان بنجاح شبابها

بأعداد هائلة يهاجر الناس إلى أوروبا وأمريكا وكندا.. طلبا للعيش الكريم وبحثا عن الحرية وعن العمل وإثبات الوجود.. ويهرب من العالم المتخلف والعالم الثالث كل سنة الآلاف المؤلفة من الشباب هربا من ضيق العيش ومن الفساد والدكتاتوريات والبيروقراطية.. بحثا عن أفق جديد وأمل ومتنفس لحياة كريمة مستقرة.

وتصل إلى العالم الغربي حشود من الناس من مختلف الأعمار والمستويات.. يصل الطبيب والمهندس والأستاذ الجامعي وغيرهم من أصحاب الشهادات العلمية الرفيعة.. كما يصل كذلك غير المتعلم والجاهل والأمي والذي لا يفرق بين حرف الفاء وحرف القاف أو بين حرف الجيم وحرف الخاء.. إلاّ أنه بعد سنين قليلة يدمج كل واحد حسب قدراته وحسب رغباته إلى عالم الشغل ويصبح عنصرا فعالا في تطوير اقتصاديات هذه الدول وكنز كبير لما سيأتي بعد ذلك من أطفال يصبحون ركيزة من ركائز هذه الدول يتكلمون بلسانها المبين ويفكرون بفكرها ويحملون ثقافاتها وهمومها وأفراحها وأتراحها.. والكل يعيش حياته كما يريد وكما يرغب ويهوى.

القادم إلى الغرب يجد سُلما ينتظره من أجل أن يصعد ويتدرج بواسطته إلى النجاح وإثبات الذات.. فمن يحسن استعمال هذا السلم فإنه سينجح حتما.. أما من يدير ظهره له فسيعيش على حافة المجتمع ولن يستفيد من غربته إلاّ التعب والهموم ومشاكل أخر لا تعد ولا تحصى.

وعندما أتكلم عن هذه السلالم إنما أقصد بها تلك السياسات المدروسة والممنهجة تبدأ من تعليم اللغة إلى الإدماج العلمي والثقافي والعملي.. فهي عملية أتوماتيكية من يسلك ويصبر على مراحلها فسيصل حتما إلى مراده ومبتغاه.. الغرب برمته أتقن الاستثمار في الإنسان وفي عقله فنجح وكسب من ذلك الشيء الكثير.. الغرب اكتشف بأن الإنسان سهل التكوين والترويض وهو المادة الأساسية لكل دولة تريد أن تزدهر وتتطور.

أما بلداننا التعيسة فهي لا تملك أدنى علم أو تخطيط من أجل استغلال قدرات مثقفيها أو أصحاب الشهادة العلمية ومتخرجوا الجامعات.. فما بالك بمن لمن يسعفهم الحظ على النجاح في الدراسة والتعلم.. فهؤلاء في نظر المسؤولين هم عبارة عن مجموعة كلاب يجب أن تبقى في الشارع تجري وتلهث وتنبح.. المسؤول العربي لا يعرف معنى للنجاح ولم يعشه.. فكيف له أن يعمل على إنجاح الآخرين..!!؟

إن السلالم التي تكلمت عنها في الغرب لا وجود لها في دول الهمّ والنكد.. بلدننا العربية والإسلامية.. فهم لم يتربوا على هذه المعاني ولم تُسق يوما في دساتيرهم ولا في مناهجهم التربوية أو التعليمية.. فسياساتهم تدفع بالشباب وبكل شرائح المجتمع من شيوخ وعجائز وأطفال صغار إلى خلق سلالم بأيديهم من نوع آخر وهي سلالم الموت في عرض البحار نحو أوروبا أو سلالم التي تحمل إلى أماكن عالية من أجل الانتحار أو إلى حرق النفس والعياذ بالله.

لابد من سياسات حكيمة تصنع النجاح وتعطي لكل فرد في المجتمع فرصة إثبات الذات.. لابد من دمج الشباب والعناية بهم.. لابد من تضحيات ومشاريع وأفكار يشارك في وضعها المثقف والسياسي وعلماء الاجتماع والفلسفة وأصحاب الخبرات.. لابد من استثمار حقيقي في الإنسان منذ أن يرى نور هذه الحياة إلى غاية أن يغادرها.. لابد أن ننجح في هذه المهمة النبيلة ولكي ننجح لابد من محاربة الفساد والمفسدين.. وأن نحارب المحسوبية والعاملين عليها والبيروقراطية والمؤلفة قلوبهم عليها.. وأن نحارب كل من تسول له نفسه الزج بالشباب إلى هاوية البحر والانحراف.. لابد من دفع أهل الخير من السياسيين والإداريين لكي يديروا شؤوننا ويخططوا لمستقبل أفضل.. لنخرج من أنانية خدمة الأقارب والأولاد وأهل البلد إلى عقلية أكثر شمولية.. عقلية صنع الحياة الكريمة للجميع دون تمييز.. لا بد من شعار جديد بدل شعار: ألقوا بالثورة للشعب يحتضنها.. إلى شعار: ألقوا بالسلالم للشباب سيصنع النجاح ويرتقي بها.. نجاح الأمة في صناعة الحياة.. لنصبح خير أمة أخرجت للناس.!!

هكذا تتربى الأجيال في الدول الإسكندنافية..!!

تبدأ تربية الأجيال في هذه الدول بداية من السنة الأولى من عمر الطفل إلى غاية أن يبلغ سن الثامنة عشر، والستة سنوات الأولى من العمر تعتبر أهم مرحلة في كل جميع هذه المراحل لأنها أساس التربية وهي الانطلاقة الحقيقية، فإذا صلحت كانت النتائج بعد ذلك مواطن صالح يساهم في تطوير بلده وفي استقرار المجتمع.

ولا أريد أن أتحدث في هذا المقال عن دور اللعب في تشكيل شخصية الطفل ولا عن المكان الجميل الذي يحتوي على كل الوسائل البيداغوجية التي تساهم وتساعد في تربية الطفل، كما لا أريد أن أتكلم عن الأكل المدروس والمفيد الذي يقدم للأطفال والذي يساعدهم على فتح شهية التعلم وتلقي المبادئ الأولى في التربية، كما أنني لن أتكلم على دور المختصين التربويين والمعاملة الجيدة التي يتعاملون بها مع الأطفال في دور الحضانة.

تعتمد تربية الأطفال في الست سنوات الأولى على سبع نقاط أساسية سأذكرها هنا مع قليل من الشرح، فالطفل في هذه المرحلة يتعلم خاصية مشاركة أصدقائه الألعاب، فلا يستأثر بكل الألعاب لوحده، ويتعلم الأطفال كذلك خاصية أن يشارك الجميع في كل النشاطات فلا إقصاء ولا تهميش لأحد، ويتعلمون كذلك قيمة مساندة بعضهم البعض إذا اقتضت الضرورة وكذلك وجوب مساعدة بعضهم البعض في قضاء حوائجهم إذا لزم الأمر ذلك، ويتعلم كل طفل كذلك أن ينتظر دوره في كل شيء وأن لا يحاول أخذ دور الآخرين سواء أكان الذي قبله طفل

ضعيف البنية أو طفلة لا تقوى عن الدفاع عن نفسها ويتعلمون خاصية مهمة كذلك وهي خاصية فن الاستماع الجيد سواء للمربين أو فيما بينهم، وكذلك حسن الكلام واستعمال المفردات الجميلة في طلب أي شيء أو من أجل أخذ أي شيء وأكثر الكلمات تداولا هي كلمتا: شكرا وتفضل.!!

هذه هي أهم النقاط التي يعتمد عليها المربون لتعليم الأطفال، فاستطاعوا بذلك إخراج جيل يحمل شفرة تفاهم واحدة ساعدتهم بعد ذلك في بناء أوطان وصناعة مجتمع هادئ متميز يحسن التصرف والتفكير، كما أن هذه النقاط أصبحت تورث الآن لكل الأجيال فسهُل عليهم بناء مجتمع مرصوص إذا اختلت به أي لبنة إلاّ وعرفوا بسرعة مكمن الخلل ومكان تواجد الخطأ فيُستدرك الأمر بسرعة.

وإذا ما نظرنا إلى مجتمعاتنا العربية والإسلامية نجدها تتميز بفوضى عارمة في المعاملات وإذا ما تحدثنا مع بعضنا البعض في أي نقاش إلاّ وبدأ الصراخ والانفعال يأخذان مكان السكينة والهدوء، وفي الأسواق والأماكن العامة لا احترام لا للكبير ولا للصغير ولا للمرأة ولا للضعيف أو المريض، فصاحب القوة الجسمية أو صاحب الوساطة هو من يقضي أشغاله بسرعة كما أننا لا نساعد المظلوم ونكتم شهادة الحق خوفا وجبنا، ولا نستطيع قول كلمة الحق للظالم أو للفاسد، فقد نرى بأم أعيننا من يفسد أملاك الشعب وأملاك الدولة وندير أعيننا ولا نملك الجرأة على التبليغ بهؤلاء لأننا تربينا على ثقافة من يفعل هذا يعتبر أسفل وأحقر الناس.

وسبب فشلنا في إدارة نقاش سياسي ناجح هي غريزة الإقصاء التي تسكن السياسيين عندنا، فكل حزب يعتقد بأنه على حق وعلى كل الأحزاب أن تتبع آراءه ومقترحاته، فنخلق بذلك انسدادات سياسية وتضيع منا فرص النجاح والتغيير والإصلاح.

كما أنه قد تحدث مشادات بين الأطفال وبين الأحياء بسبب لعبة كرة القدم أو في أي لعبة رياضية أخرى لأننا لم نربي أبناءنا على خاصية حب المنافسة وتقاسم الانتصارات بكل روح رياضية، فنتج عن ذلك جيل لا يقبل الهزيمة ويصب بعد ذلك جام غضبه على ممتلكات الناس وعلى المنشآت الوطنية تكسيرا وإتلافا.

أعتقد أن هذه النقاط التي ذكرت جد مهمة من أجل تربية الأجيال، حتى يمكن لنا أن نطور الوطن ونتقدم إلى الأمام ونخلق مجتمعا منسجما هادئا يحب بعضه البعض ويتفق على حماية الوطن وحماية ممتلكاته وبهذا نتطور بخطوات جبارة لبناء مستقبل واعد.

هكذا علمتني كورونا

ربما مررنا بالعديد من المدارس، وجلسنا وتعلمنا العديد من الدروس، لكن لا أعتقد بأن هناك درسا قد مرّ علينا وتعلمنا منه وأخذنا العبر والمواعظ مثل درس فيروس كورونا.!!

لقد أصبحنا بسبب هذا الفيروس سجناء دون محاكم ولا سجون ولا سجّان، توقفت حياتنا وأصبحنا في حيرة من أمرنا أغلقت مدن ومطارات ومنعنا من السفر بسبب الحجر الصحي المفروض علينا دون إرادة منّا ولا رغبة، اشتقنا إلى أحبة وإخوة ولا قدرة لنا على زيارتهم، عائلات فقدت أفرادا منها دون أن تتمكن من توديعهم إلى مثواهم الأخير أو حتى أن تلقي عليهم نظرة الفراق.. فيروس نانوميتري، تسبب في كساد وإفلاس وتصفية لشركات، قضى على أرزاق الناس، نشر الهلع والخوف في كل مكان، أدخل الشك والحيرة في نفوس عديدة، أبعدنا بعدما كنا ننادي ونحث على ضرورة الاقتراب من بعضنا البعض فأصبحنا نشجع على التباعد الاجتماعي بعدما كنا ندعوا ونؤكد على التقارب الاجتماعي.!!

إنها عجائب هذا الفيروس المجهري، ولا ندري لحد هذه اللحظة إلى متى سيطول بنا هذا الوضع، إلى متى سيتواصل غلق المساجد والمعابد؟ متى يعود الطواف ببيت الله الحرام ويصلي المسلمون في المسجد النبوي؟ متى تعود لنا الحياة التي وهبنا الله؟ متى ترجع الأفراح والأعراس ويسعد الناجحون بنجاحهم والمجتهدون باجتهادهم... فنحن اليوم، في وضعنا هذا، وبالحالة التي نعيش، لسنا لا من الأحياء ولا من الأموات.

لقد كان درسا عظيما، ليس كيف نغسل أيدينا، أو ماهي أنواع الفيروسات وكيفية التعامل معها، وليس كيف نصنع كمامات لتقينا شرها، أو درسا في كيفية صناعة مواد التعقيم... وإنما درسًا من نوع آخر، درسا جمع بين التطبيق والنظري، بين الملاحظة وكل المناهج الأخرى، درسا خلاصته أن كل هذا الوجود لا يساوي عند الله جناح بعوضة، فكم أنت ضعيف أيها الإنسان.!!

علمتني كورونا أن أكون إنسانيًا حقيقيًا كما أمرني الله، أن أعيش لنفسي ولغيري ولوطني وللعالم أجمع، أن أنشر الخير وأحث عليه ما استطعت، أن أغتنم كل لحظة من حياتي في العمل وتحقيق رغباتي وإرضاء ربي.

علمتني كورونا أن الحياة زائلة، والخلود فيها يكون بالأثر الحسن، بالعيش من أجل هدف نبيل، بالبناء، والإعمار، بحب الناس والنصح لهم، مشاركتهم أفراحهم وأتراحهم، بالتجاوز عن خطاياهم والصبر قدر الإمكان على أذيتهم.

كورونا كان درسا قاسيا لدول العالم أجمع، علمهم بأن الأصل هو الإنسان، فلا معنى لأي تقدم حضاري دونه، فضح قيمهم الهشة، وأبان عن عجزهم رغم تقدمهم، كورونا ساوت بين الأغنياء وبين الفقراء، وجعلت همّ الجميع البقاء على قيد الحياة.

لقد كانت كورونا درسا لنا جميعا، فإما أن نتعلم فتطيب عيشتنا، وإما أن ننتظر درسا آخر لنتعلم منه، لكنه حتما سيكون أشرس وأفتك وأعنف علينا مما عرفناه وعرفته الإنسانية قبلنا.

هل حقيقة كلنا محمدا!؟

قد يكون الأمر مستفزا للبعض خاصة إذا طرحنا هذا النوع من الأسئلة أو قلنا لهم بأننا لسنا محمدا.. وقد لا يفهم من كلامك هذا بأنك تريد التعبير المجازي بهذه الجملة.. فتتعرض للشتم والسبّ وقد يحكم عليك بالزندقة والخروج من الدين بسبب هذا الكلام الذي يعتبره البعض ضالا وخارجا عن جادة هذا الدين وعن الصراط المستقيم!!.

لقد خرج معظم الجزائريون إن لم يكن كلهم إلى الساحات العامة وعبر المسيرات منددين بتلك الرسومات البائسة التي أراد منها رسّاموها وناشروها الإساءة أولا وقبل كل شيء إلى الإسلام الحنيف كدين بعدما استولت العلمانية المتطرفة - أؤكد على كلمة المتطرفة لأنه هناك علمانية غير ذلك - وبعدما استولى الإلحاد ونكران الأديان على ثقافة وفكر هؤلاء.. ولكي يشوهوا هذا الدين كان لابد لهم أن يطعنوا في الرسول الذي جاء به وفي القرآن الكريم كلام ربّ العالمين، ولهذا جاءت كل رسوماتهم مركزة على شخص النبي محمد وعلى كتاب الله.. قلت خرج الجزائريون جموعا وأفرادا رافضين لهذه الإساءة ورافعين لشعارات مكتوب عليها بخط جميل ورائع سواء باللغة العربية أو باللغة الفرنسية: كلنا محمد، نحن نتبع محمد.. إلخ.

لكنني أريد هنا أن أكون صادما نوعا ما متوجها بأسئلة مباشرة غير ملتوية لمناقشة ما حملنا من تلك الشعارات الجميلة، هل نحن حقا ممن يتبعون محمدا؟ وهل حقا يتشرف بنا محمد صلى الله عليه وسلم كأمة تتبعه وتقتدي به!؟.

وأنا هنا لست إماما ولا عالما ولا عارفا حتى أحكم على الناس إن كانوا من أتباع الرسول أم لا.. لكن من خلال دراستي البسيطة للإسلام وما يريد منا محمدا صلى الله عليه وسلم من أخلاق وأفعال نلتزم بها فإنه يمكنني القول: بأننا أمة بعيدة كل البعد عن منهج الرسول وعن سننه القولية والفعلية.

وعندما أقول منهج الرسول لا أقصد بذلك كثرة الصلاة والصيام وقيام الليل.. ولا أقصد بذلك اتباع الرسول في لباسه وأكله وشربه ومعاملاته لزوجاته ولأهله.. ولا أقصد كذلك اتباع الرسول في أشياء قد تشق علينا نحن في هذا العالم المليء بالتوتر وبضغوطات الحياة وانعدام العدل وزوال الأخلاق التي بنى عليها الرسول المكارم التي جاء بها، لكنني أقصد اتباع الرسول في ما نهانا عنه وفي ما أمرنا به.. اتباع الرسول في معاملاتنا في ما بيننا ومعاملات المسؤولين لنا ووقوفهم على خدمة مصلحة الشعب ومصلحة الوطن!!.

في الحقيقة لا أريد أن أشير هنا إلى ما نراه ونسمعه يوميا في شوارعنا من كلام بذيء، فهذا أمر الكل يعلمه ويعرفه.. من سباب لرسول الله وكفر بالله وكلام فاحش جهارا نهارا يصعب على المرء أن يردده حتى بينه وبين نفسه أو حتى أن يتخيله.. ثم نقول بعد ذلك بأننا أمة تحب وتتبع محمدا وتمجده!!.. لكني أريد أن أتحدث عن أهم أمر جاء به الرسول الكريم وأوصانا به ألا وهو: كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته!!؟.

فلو عملنا بهذا الحديث الذي جاء به الرسول الكريم لصلحت دنيانا ولعشنا سعداء في وطننا معززين ومكرّمين.. ولما انتظرنا أن يأتي لباسنا وغذاؤنا وكل متطلباتنا من الغرب.. لو

تحمّل المسؤول عندنا الأمانة وفهم بأنها ندامة يوم القيامة لصلحت زراعتنا وصناعتنا ولوجد الشباب العمل واستطاع الاستقرار في حياة هنيئة وفي وطن أساسه العدل والمساواة.. لو كان المسؤول عندنا مسؤولا حقيقيا على رعيته وخاف عليها لما نهبت أموال الشعب والوطن.. ولما اشتريت أقلام وأفواه من أجل السكوت عن الحق.. ولما ميّعت الأشياء القيمة وبيعت بأبخس الأثمان.. لو كان المسؤول عندنا من أتباع محمد ومن عشاق هذا الرجل العظيم لبنى لنا دولة قوية لا تعظم الأشخاص ولا تزول بزوالهم.. دولة تعطي الحقوق لأصحابها وتكافئ الفرص فيما بينهم.

فالغرب لم يتبعوا محمدا في صيامه وقيامه ولم يتبعوه في دينه ورسالته لكنهم بنوا دولهم على أفكار ومناهج سبقهم إليها الرسول الكريم وصحبه منذ قرون.. فبنوا دولة العدل والمساواة والحرية.. دول تعتمد على العقل والتفكير والإبداع والعلم.

إذن فكلنا شعوب وحكومات بعيدون كل البعد عن رسول الله وأخلاقه ومنهجه.. فلا الشعوب احترمت وأحبت هذا الرسول الكريم واتبعت طريقه وأخلاقه.. ولا الحكام والحكومات مشت وسيّرت شعوبها على منهج ووصايا الرسول الكريم في إقامة دولة الحق وتحقيق الحكم الراشد.. فهل يحق لنا بعد ذلك أن نقول ونفتخر بأننا أمة تتبع محمدا أو أننا أمة كلها محمدا!؟.

هل عزمت كورونا على تحريرنا؟

لقد فعلت فينا جائحة كورونا الأفاعيل، ودليل ذلك أن أقلام الكتّاب وتصريحات السياسيين وتوقعات المختصين في قطاع الصحة والباحثين ما تزال جميعها تصنع الحدث وتجذب انتباه واهتمام كل شرائح المجتمع، بسببها توقفت الأسفار وتأخر الدخول الاجتماعي والمدرسي. وحديث اللحظة الذي بدأ يُتداول في العديد من دول العالم أن موجة ثانية على الأبواب، وأن الموعد محتوم معها في هذا الشتاء، وأنه بالرغم من الجهود المبذولة من الباحثين في علم الفيروسات لا لقاح فعّال لحد هذه الساعة، وحتى لقاح شركة "أسترا زنيكا" عن معهد أكسفورد الذي أعطى نوعا من الأمل توقف بسبب المضاعفات الثانوية الخطيرة التي أظهرها أثناء تجريبه في المراحل الأولى.

بمعنى آخر، أن خارطة الجائحة النهائية لم تظهر لنا بعد، ولا أحد يمكنه أن يتنبأ بكل تفاصيلها ما دام أن الفصل الثاني منها لم يكتمل، إلاّ أنه ما أحدثته إلى غاية هذه اللحظة من تغيرات في عادات وثقافات وتأثيرها الواضح على سلوكات الأفراد أصبح ظاهرا للعيان، نتعايش معه يوميا، نتقبله ونساهم في ترسيخه دون شعور مناّ أو قصد، فعقلنا الباطني جراء التراكمات المعرفية والمخاوف من الأخطار المحدقة بِنَا من هنا وهناك أصبح يقودنا، يحدد ويوجه كل تصرفاتنا وكل خطوة نخطوها.

ففي الغرب مثلا، توقفت نهائيا عادة العناق والمصافحة باليد، وفِي الجزائر تراجعت بشكل ملفت عادة التقبيل صباح مساء، وحتى مصافحة الغرباء أصبحت تؤدى بحركة تقديم

مقبض اليد مثل ما تفعل مجموعات عشاق أغاني وحاملي ثقافة "الهيب هوب" الأمريكية قصد الحيطة، هذا، دون أن ننسى التباعد الاجتماعي بكل أشكاله الذي تحقق، خاصة في الفضاءات العامة المزدحمة.

إذن، فجائحة كورونا تعمل على تحريرنا تدريجيا، تعيد إلينا حقوقا نسينا من خلال ضغط الضمير الجمعي والثقافة المستورَدة التي تفرض في يومياتنا مثل ما يقول علماء الاجتماع أنها حق خاص بِنَا فقط. وسوف تواصل في تحريرنا أكثر فأكثر حتى تعيد إلينا كذلك ذلك الحيز المهم والذي مساحته قد لا تزيد على المتر أو المترين الذي يحيط بِأجسادنا.

فالعديد عندما يتحدثون إليك، ومن قرب مسافتهم منك تجد أنفاسهم والرذاذ الذي يخرج من أفواههم يلمس وجهك وإذا أخرجت هاتفك لتتفقد شيئا ما في أي وسيلة مواصلات عامة إلاّ ووجدت عنقا من الأعناق سواء لطفل أو طفلة أو لرجل وامرأة إلاّ ويتمدد محاولا التطلع على خصوصياتك وكذلك هو الشأن عند الوقوف في الصف من أجل استخراج بعض المال من الموزع المالي حيث تجد دائما من لا يحترم المسافة من ورائك وله الفضول ليعلم كم أخرجت من مبلغ أو ربما محاولا معرفة الرقم السري لبطاقتك. والأدهى والأمر، ذلك الالتصاق المقصود والتحرش المستمر الذي تتعرض له النسوة والفتيات كل يوم، صباح مساء، في وسائل النقل وأماكن التسوق المزدحمة.

حقيقة إن هذه الجائحة أضرت بِنَا جميعا، بطرق مباشرة أو غير مباشرة، كل واحد أصابه منها قدر وخسارة ما، على حسب موقعه ودوره في المجتمع، لكنها حتما إن استمرت بهذا الشكل الذي هي عليه، ستحدث انقلابا حقيقيا في مفاهيم وسلوكات وطبائع وثقافات وعادات دخيلة، كورونا ستواصل تحريرنا تحررنا ماديا ومعنويا وستعيد إلينا حقوقا نسينا أنها خاصة بِنَا فقط، ويوم نحقق حق الجسد والحيز المحيط به ونعترف للآخر بذلك، حتما ستتحقق حقوق أخرى أكثر أهمية، الحق في التفكير وإبداء الرأي، فالعبد يحرر جسدا قبل أن يتحرر عقلا.

وماذا بعد الاحتفال بثورة نوفمبر..!؟

لا أريد أن أكتب عن الثورة التحريرية ونحن نحتفل بستة عقود ونصف العقد من اندلاعها بطريقة كلاسيكية كما كتب ويكتب عنها المؤرخون والكتاب والمثقفون، ولا أريد أن أجعل من هذه الذكرى المجيدة مثلما تعودنا فرصة للفرح والمرح، للغناء وللرقص، ولا فرصة لقص القصص ولإعادة الحكايات الشعبوية على بطولات أولئك الرجال الذين ضحوا بالنفس والنفيس وبأغلى ما يملكون من أجل أن نعيش نحن أحرارا في وطن كان يفترض أن يكون وطنا للعزة والكرامة.!!

لقد جاهد أولئك الرجال واستشهد أغلبهم وعانقت أرواحهم الطيبة أرواح الأنبياء والصديقين، ومن منطلق المؤمن بوعد الله ووعيده فهم الآن في جنات عدن يتنعمون بنعيم الله وينظرون إلينا.!!

نعم، إنهم الآن ينظرون إلينا ويرون بأم أعينهم ماذا فعلنا بهذا الوطن، يراقبون كل أفعالنا وأفاعيلنا وتصرفاتنا المريبة والمسيئة للوطن ولهم، الوطن المنشود الذي لم يمضي على الطريق الذي أرادوا ولم يكن له ذلك المستقبل الذي أنشدوا وحلموا، وطن انحرف به أبناؤه عن مبادئ ثورة نوفمبر، لم نحقق العدالة والمساواة التي كان بيان نوفمبر ينشدها، لم نستثمر في تنمية شاملة حقيقية وذكية لكي نخرج المواطن الجزائري من كل تبعية للغير تعيد له العزة والكرامة والحياة الكريمة، لم نبني للأسف الشديد الدولة الفاضلة ليس بتصور أفلاطون ولكن بتصور رجال نوفمبر، الدولة الفاضلة التي يعيش

تحت ظلها وتحت جناحها المواطن معززا ومكرما لا يخاف عندما يسدل الليل ستاره أن يمشي في شوارعها وبين أزقتها دون خوف من خفافيش الليل وصناع الجريمة من أخذ ماله أو زهق روحه من أجل أشياء بخسة الثمن.!!

لقد مرت أكثر من ستين سنة عن الثورة المجيدة ولم نستطع بعد صناعة حياة حقيقية في هذا الوطن المجروح، صناعة حياة بمفهوم فكر رجالات نوفمبر أين تتساوى فيه فرص التنمية والاستثمار في الإنسان منذ ولادته، لقد آثرنا حب النفس وغلبتنا الأنانية فنتجت عن ذلك الأحقاد والكراهية والبغضاء بين الجهات الأربع لهذا الوطن وبين أفراد الجهة الواحدة وبين سكان المدينة الواحدة وبين العائلات والجيران.

لقد رسخنا بممارسات خاطئة استمرت لعقود فكر الاتكال وفكر التساهل وفكر اللا مبالاة، فنتجت عن ذلك أجيال تنتظر أن يهدى لها كل شيء تنتظر السكن والعمل والزواج، نتج عن ذلك شباب بلغ من الكبر عتيا يطلب مصروفه اليومي من أبيه وأمه، جيل متساهل في تأدية واجباته الشخصية والعملية وواجباته نحو دولته ووطنه.

أعتقد بأننا أسأنا كثيرا لجيل صانع ملحمة أول نوفمبر، لم نكن في مستوى طموحاتهم في بناء دولة متطورة، دولة تملك وتصنع التكنولوجيا وتملك فلسفة صناعة المستقبل، دولة بأتم معنى الكلمة التي قيل عنها: دولة لا تزول بزوال الرجال.!!

لكن الأمل قائما في جيل بدأت تظهر ملامحه وسماته، مثقف ومتعلم، مطالع ومتطلع، طموح ونشط، رأس ماله عقله وتفكيره السليم، تعلم من أحداث ومحطات تاريخ الجزائر المختلفة

وعرف العبر والعظات منها، جيل يحسن صناعة الحياة والأوطان والحفاظ عليهما.

لابد لهذا الجيل أن يأخذ مكانه الصحيح في كل مجالات الحياة وفي كل دواليب صناعة القرار في الدولة حتى يخدمها ويحبها، يخدمها من أعماق القلب ويحبها بدون صراخ، جيل يقدس التعايش ويحترم فكر الآخرين، جيل فهم بأن المرأة ليست نصف الرجل بل هي روحه وقلبه وعقله تُكمله ويُكملها، جيل بدأ يفهم بأنه إذا لم يزرع لا يحصد وإذا لم ينتج لا يلبس، جيل حان الوقت ليأخذ الريادة ويقود البلد، ثم عند النجاح لابأس أن يرقص ويغني ويحتفل بثورة نوفمبر المجيدة.. ومهما يكن.. رحمة الله على الشهداء.

وزارة للسياحة ووطن بدون مراحيض..!!

صديقي الذي يسكن مدينة داخلية زار العاصمة مؤخرا مع أمه وأخته.. أخبرني بأنه عانى معاناة شديدة بسبب حاجة أمه لقضاء حاجتها وقد زاد في معاناتها كبر سنها، كان ساخطا على مدينة بحجم العاصمة لا تتوفر على مراحيض عمومية تكون في أماكن آمنة ونظيفة من أجل أن تقضي الناس حاجتها.. والرجل كان يظن بأن هذه المشكلة في العاصمة لوحدها ولم ينتبه بأن المشكلة عامة، ففي مدينته لم ينتبه لهذا لأنه لم يقع في هذا الموقف ولهذا لم يفكر فيه جملة وتفصيلا.

حكاية صديقي هذا ذكرتني بحكاية أخرى لصديق زار الجزائر قبل سنوات مع زوجته الأجنبية وابنه الصغير، وقبل ذلك كانوا قد قضوا بضعة أيام في دولة مجاورة وعند عزمه زيارة أهله قرر فعل ذلك عن طريق البرّ خاصة وهو يسكن في مدينة لا تقع بعيدا عن حدود تلك الدولة، فأخبرني بأنه كان يتمنى أن تنشق الأرض ويدفن حيا على أن يعيش ذلك الموقف المخجل، حيث عند وصوله إلى أحد المناطق فإذا بزوجته تهمس له في أذنه بأنها في حاجة لقضاء حاجتها، فطلب من سائق السيارة أن يوقفهم عند أي مطعم أو مقهى، فوجد المطاعم والمقاهي لكنه لم يجد مرحاضا يليق بأن يقضي فيه الإنسان حاجته!!.

وحديثي اليوم في حقيقة الأمر ليس عن المراحيض ولا عن أماكن قضاء الحاجة رغم أن الأمر يتطلب الحديث عنه والتنويه بذلك، إلاّ أنني أردت بذكر ذلك على أن يكون مدخلا جيدا حتى

نتحدث عن طريقة تفكيرنا عند بناء مدننا وقرانا وعن الحياة المدنية التي نريد والتي يجب أن تكون.

لابد بأن نقول بأن المناطق التي نريدها أن تكون قبلة للسياح لابد أن تبنى بعقلية المدينة وبفكر التمدن لا بعقلية البادية وفكر البدو.. والأمر ليس متعلقا بالمدينة فقط بل متعلق بكل مناطق البلد: المدن منها والقرى والصحراء والتلال، فكل منطقة يجب أن تبنى بعقلية المدينة دون المساس بخاصية كل منها.. فالقرية عليها أن تبقى بخصائص القرية من مناطق خضراء وأن نحافظ على الأراضي الصالحة للزراعة بها وبكل ما تتمتع به من مميزات، لكنه يجب أن لا ننسى بأن نوفر للقرية ولأهل القرى الخدمات الصحية وتعبيد الطرقات وتوصيل الأسلاك الكهربائية والمياه الصالحة للشرب وخدمات الهاتف والشبكة العنكبوتية وكذا المساكن اللائقة التي تحميهم من حرّ الصيف وقرّ الشتاء.

وكذلك هو الأمر إذا أردنا الحديث عن الهضاب العليا أو المناطق الصحراوية القريبة أو البعيدة أو المناطق السياحية الجبلية، فكل هذه المناطق وغيرها علينا أن نحافظ على خصوصياتها ومميزاتها لكن أن ندخل عليها ونوفر لها ما يتطلب هذا العصر من متطلبات كي تستقطب أكبر عدد من السياح وحتى نحد من الهجرة منها وحتى نشجع الهجرة إليها.

هناك العديد من الشباب في هذه المناطق قمة في الذكاء ولهم مواهب عظيمة في مختلف الاختصاصات كالرياضة ومتفوقون دراسيا ولهم إمكانات خارقة في الإبداع، لكن للأسف الشديد تموت هذه المواهب بسبب إهمال الدولة وظلمها لهم وذلك بعدم توفير لهم ما يزيد ويشجع على نجاحهم.. ففي

حقيقة الأمر كل المناطق الجزائرية وليس المدن الكبرى فقط لها الحق في المنشآت الرياضية وفي بناء المصانع وفي مكتبات عمومية للمطالعة والمواصلات والكهرباء والشبكة العنكبوتية.

إنّ عدم تكافئ الفرص وعدم التوازن في توزيع الثروة وعدم التقسيم العادل واستفادة الجميع من خيرات البلد يؤدي إلى اضطرابات متواصلة واحتجاجات يومية بسبب تلك الفروق بين منطقة وأخرى، فهناك دول عديدة من أجل تطبيق العدل وتكافئ الفرص بين مواطنيها لجأت لبناء الإدارات الكبرى ونقلت بعض الوزارات إلى أماكن بعيدة جدا عن العاصمة وعن المدن الكبرى حتى تحدث حركة اقتصادية وتخلق حياة لسكانها.

لقد تحدث ابن خلدون في كتبه عن العصبية وعن المدينة وعن الحُضر والبدو وعدّد الكثير من السلبيات والإيجابيات وكانت له بعض المواقف، وإني جد متعجب في هذا الزمن الذي نعيش فيه بأن أكثرية المسؤولين عندنا يفكرون ويخططون في بناء البلد بعقلية البداوة وبفكر البدو الرحل ثم يحدثوننا عن ثقافة السياحة والسياح وعن التطور والتحضر والتقدم!!.

لابد وأن ننظر للمدن العالمية وكيف بنيت واكتساح الحضارة كل شؤونها، سواء أكانت في التعاملات الإدارية أو في قطاع المواصلات أو اللاسلكي أو في الصحة وفي التعليم، علينا أن نقتدي بالدول التي زرعت في قلب الصحراء حياة وجعلتها مركز المدينة والتمدن ومركزا للتعاملات التجارية العالمية، علينا قبل أن نتكلم عن السياحة عندنا أيها المسؤولون وتشجيعها ورصد ميزانية لها وجعل لها وزارة وموظفين: أن نبني المراحض أولا حتى

يجد الناس أين تقضي حوائجها وحاجاتها ثم تعالوا لنتكلم عن السياحة بعد ذلك!!.

وفاة الصديق السي لخضر رحمه الله

السي لخضر رحمه الله لم يكن شابا مغتربا مثل كل الشباب هنا.. لقد كان سيدا مثل ما سماه والده.. السي لخضر هو اسمه الكامل لم أضف له شيئا من عندي.. هكذا مكتوب في الدفتر العائلي.. كان خيّرا، نشطا، صاحب رسالة وهدف.

خبر وفاته رحمه الله أمسية اليوم الثالث من أكتوبر سنة 2009 نزل على الجالية الجزائرية وغير الجزائرية كالصاعقة.. خبر لم يكن منتظرا ولا لأحد أن يصدقه لولا إيماننا بقضاء الله وقدره.. لقد غرق رحمه الله في بحيرة ضواحي مدينة ستوكهولم وهو يمارس رياضة الغطس.. غطسَ يؤدي تمرينا هو وزميل له.. فخرج زميله من قاع البحيرة ولم يخرج السي لخضر.

كان شابا مثقفا مناضلا في عدة جمعيات.. مارس نشاطه السياسي مع العديد من الشخصيات السياسية المعروفة.. دافع في حدود قدراته على مصلحة الجاليات عمومًا وعلى الجالية المسلمة خاصة.. درس في الجامعة تخصص علوم اقتصادية.. بدأ عمله في إحدى البنوك.. لم يتسن له اللحاق ببنك آخر بعدما قُبلَ به لأن المنية كانت قد سبقته.

تذكرت الصديق السي لخضر رحمه الله بعدما تحدثت في مقال سابق عن المغترب القدوة، ولو طلب مني أن أقترح اسما يمثل قدوة للشباب هنا لاقترحت السي لخضر وذلك لأسباب عديدة يصعب الإلمام بها في هذا المقال.. فقد كان متابعًا جيدًا للشأن العام وكل ما يهم المجتمع بكل مكوناته الثقافية.. كما كان رحمه الله يُسّخر جزءا من وقته لتعليم أبناء الجالية

المسلمة مادة الرياضيات التي كان بارعا فيها.. لقاءاته المتعددة كل أيام الأسبوع في الجمعيات التي كان ينشط فيها.. مشاركته في النقاشات التي كنا نديرها مع مجموعة من الأصدقاء حول الجزائر وكيفية المساهمة بشكل إيجابي في تقدمها وازدهارها.. فقد كان رحمه الله مدافعا شرسا عن أفكاره.. دقيقًا في طرحه.. صارما في نقده.. يختلف مع مخالفيه في النقاش دون أن ينقص ذلك من حبه أو صداقته لغيره.

مات السي لخضر وترك فراغًا في وسط الجالية وفي وسط أصدقائه وأحبابه الذين عرفوه لم يملأ لحد هذه اللحظة.. فقد كان مجرد النظر إليه يلهمك بالحماسة والنشاط والمرح والمزاح الذي يزيل الهم والغم.

ولأنه كان رحمه الله رجلا بأمة.. أقامت له الرابطة الإسلامية في السويد الذي كان أحد الناشطين فيها تأبينية كنا نعتقد بأن الحضور سيكون فقط مقتصرًا على الجالية المسلمة.. لكننا شهدنا تدفقا غير منتظر من زملائه في العمل من السويديين رجالًا ونساء، وكل من عرفه من الجاليات الأخرى.. جاءوا جميعا لمشاركتنا لحظة الوداع ولتقاسم معنا مشاعر الحزن.. فاصطف الجميع في صف يكاد لا يرى له نهاية من أجل التوقيع على دفتر العزاء.

هكذا عاش السي لخضر رحمه الله.. وما ذكرته ما هو إلا غيض من فيض.. فارقنا دون أن يكمل المشوار الذي كان قد رسمه.. فلقد كانت له أمنيات وأمنيات.. وبالرغم من فقداننا له وهو في مقتبل العمر.. إلا أنه ترك أثرا طيبا في نفوسنا ودروسا عظيمة لمن يريد أن يقرأها ويستفيد منها.. السي لخضر مثال

للشاب المسلم المغترب الناجح.. وحري بنا أن نفخر به ونُذكّر بخصاله ونشاطه.. وفي هذا الشهر المبارك لا أجد إلا أن أسأل الله العلي القدير أن يجعله في عليين مع الصديقين والشهداء.

عدنان إبراهيم ظاهرة فكرية كبيرة

إن الذي يريد فهم طرح الدكتور عدنان إبراهيم لابد وأن تتوفر فيه نقاط أساسية.. والذي لا تتوفر فيه هذه النقاط أو البعض منها سيظلم الرجل كثيرا وسيخطىء في حق العقل والإبداع والمعرفة عموما.

وأهم هذه النقاط أو الشروط لابد وأن يكون المستمع أو المتابع للأستاذ عدنان ملك عقله.. مستقل في تفكيره.. يبحث عن الحقيقة والمعرفة حتى ولو من عند المجانين والسفهاء فما بالنا إذا كانت من عند العقلاء والمفكرين والباحثين ومختلف الطوائف والملل والأديان. وحتى يكون الإنسان ملك عقله لابد وأن يتمتع بالحرية والاستقلالية.. الحرية بمفهومها الواسع خاصة من تأثيرات التعصب والأنا.. والاستقلالية من تأثيرات ورواسب القبيلة والعشيرة ومن آثار ورواسب وتراكمات التاريخ "المقدس" المشكوك فيه!!. أما النقطة الثانية وهي كذلك جد مهمة ولا يستطيع ملامستها وفهمها إلاّ من جربها وعاشها وهي لابد للذي يريد أن ينتقد الأستاذ عدنان أن يعيش مثله في دولة أوروبية أين يختلف الطرح وتختلف انشغالات المهتمين جملة وتفصيلا عن طرح وانشغالات بلاد العرب عموما.. وأهم ميزة يختلف فيها العالم الغربي عن العالم الإسلامي طريقة التشخيص والنظر بعمق للمواضيع والمجال الواسع والفسيح في طرح الأسئلة حيث لا خوف منها ولا تسقيف لها.. بحكم التربية والاختلاف الجذري في المفاهيم وطريقة البحث عن المعرفة. لا أريد أن يفهم من كلامي هذا بأني أقدس الرجل أو أني أقر له

بالعصمة.. فأعوذ بالله من هذا.. فللرجل بعض الأخطاء خاصة في سرد بعض الأحداث التاريخية والحكم عليها أو على الفاعلين فيها بأحكام قاسية وصلت إلى درجة السبّ والشتم.. والحمد لله فإن الرجل قد راجع نفسه.. لكن لا يمنعنا هذا من تثمين اجتهاده وإبداعه وطريقة طرحه وقوة فهمه للدين وللحياة وشجاعته في إعادة طرح قضايا تاريخية هامة. كنت قد تناقشت في سابق الأيام مع أصدقاء أعزاء أشهد لهم بالعلم وسعة كبيرة في الثقافة.. ولم تكن في بادئ الأيام أفكارنا أو آراؤنا متوافقة حول طرح الأستاذ عدنان.. وقد حاولت مناقشتهم في الأمر ومع مرور الأيام ومع متابعتهم المتواصلة لطرح الرجل بنظرة نقدية اقتنعوا على العموم بطرحه.. وإني أعتقد يعود سبب ذلك لأنهم متشبعون بالثقافة العربية الإسلامية ومدركون جيدا للثقافة الغربية. أعود وأذكر بأن الأستاذ عدنان إبراهيم ظاهرة رائعة حمدا لله عليها في زمن الجمود والجهل هذا.. لا يسعني إلاّ أن أشكره وأن أتمنى له النجاح والتوفيق في هذا الحقل الملغم الذي عجز الكثير عن المشي فيه والخروج منه سالمين.. عدنان إبراهيم أبدع فيطرح قضايا كبيرة تفيد الأمة وتفيد خصوصا العقل المسلم المستنير الذي يؤمن حقا بأن دين الله يصلح لكل زمان ومكان. الأستاذ عدنان يختلف كثيرا عن الأئمة الذين يصعدون المنابر في هذا الزمن.. لغة قوية.. طرح قوي.. قدرة عجيبة على الاستشهاد بكلام وأبحاث العلماء.. خاصة علماء الغرب.. يحسن الربط بين القضايا الفكرية التي تحدث عنها علماء الإسلام أو علماء الغرب.. الأستاذ عدنان الوحيد الذي إذا صعد فوق المنبر لا يجتر الكلام.. الوحيد الذي يستطيع في خطبة

جمعة واحدة أن يلخص العديد من الكتب ويسبح بك في عالم القرآن وفي عوالم ما وصل إليه عقل الإنسان المتحرر الذي لا يخاف من السؤال ولا يخاف من الجري وراء الإجابة مهما كان ثمن ذلك. كثير يظلمون الأستاذ عدنان لأنه تناول بعض القضايا الحساسة فيما ورثناه بدون تمحيص في موروثنا الإسلامي.. لكن لو نتتبع القضايا التي طرحها سنجد بأنه ليس هو الأول من تناولها.. بل تناولها علماء منذ عصور قبله إلاّ أن الفرق هو أن عدنان إبراهيم يفكر بصوت مسموع ومرتفع وهي خاصية عظيمة لا تتوفر في الكثيرين. لا تخافوا من قول عدنان إبراهيم بأن في الصحيحين أحاديث ضعيفة.. فليس هو الأول من ذكر هذا.. وإنما فقط كانت له الشجاعة على طرحها وذكر ذلك.. لا تتعجبوا من قوله بأن كل ما ورد عن الدابة والمسيح الدجال وعودة عيسى هي أحاديث ضعيفة ينقد بعضها بعضا فقد قال بهذا شيوخ قبله لكن بصوت غير مسموع وقد انتظروا حتى الأيام الأخيرة من حياتهم ليقولوا الحقيقة نظرا لشدة تأثير الموروث على المجتمع. أتمنى مثلما تمنى صديق لي قبل أشهر أن يوجد على كل منبر عارف وشجاع مثل عدنان إبراهيم حتى يزيل هذه الغشاوة عن هذه الأمة لفهم دينها فهمًا صحيحا لأننا للأسف ليس لنا أدنى معرفة بديننا خاصة في مجال الفلسفة والإيمان وحقيقة الإسلام كدين يصلح لكل زمان ومكان. قرأت وسمعت لكثيرين أرادوا انتقاد الأستاذ عدنان أو لنقل الإساءة إليه.. ولم يكن أبدا ما قالوه وما كتبوه موفق لأن كلامهم وكتاباتهم كانت سطحية وعاطفية وطائفية بعيدة كل البعد عن المنهج العلمي في النقد الذي قرأناه وتعلمناه. شخصيا أقول:

أقبل بعدنان إبراهيم بأخطائه الحالية والتي كما قلت قد عاود نفسه وراجعها خاصة في طرحه للتاريخ الإسلامي ولا أقبل أبدا بإمام يدعي تمسكه وعلمه ومعرفته بالكتاب والسنة ثم يقول: الأرض لا تدور!!!؟.. إذا كنا نحن في الشارقة وأردنا الذهاب للصين هل تأتي الصين أم لا تأتي!!؟ ولا حول ولا قوة إلاّ بالله من هذا الطرح ومن هؤلاء العصابة التي تدعي معرفتها بكنوز وروح القرآن والسنة وهم في حقيقة الأمر فقط من أجل الاسترزاق منه.. فالأستاذ عدنان فضح بطرحه وفكره واجتهاده هؤلاء.. وأسقط عنهم الكهنوت الديني الذي سيطروا به على العقل المسلم. لابد وأن نقولها بكل شجاعة وليغضب من يغضب لا تطور لنا ولا فهم حقيقي لفلسفة الحياة والدين بدون مراجعة كبيرة وشاملة لموروثنا الديني الحالي الذي وصلنا بغثائه ولبه.. بسمومه وسمنه.. بخرافاته وحقائقه والذي يحاول عدنان إبراهيم جاهدا غربلته مع مجموعة أخرى من الأساتذة الأفاضل.

عن قصة Soolking!!

أسأل شابا بائع الخُضَار في أحد التجمعات التجارية، من صاحب هذه الأغنية التي ملأت هذا المكان ضجيجا، بل وفِي أماكن أخرى عديدة، في السيارات والمحلات؟ فيجيبني بلهفة وكله ثقة: يا "عمي" إنه شاب جزائري اسمه "سول كينغ" يغني أغاني الراپ، يعيش "حراقا" في فرنسا، ثم يضيف: هل رأيت يا "عمي" كيف ينجح الشباب في فرنسا!!.

قررت بداخلي أن أطّلع على قصة هذا الشاب، دخلت موقع اليوتوب، وبدأت أتفحص تصريحاته وأتابع مختلف مراحل حياته حتى وصوله إلى فرنسا، والتحقق، هل فعلا كما يقول عنه الشاب الخضّار، بأنه نجح لأنه وصل فقط إلى الضفة الأخرى؟!.

لكن، لاحظت وأنا أتابع حواراته، وقصة حياته التي حكاها لمواقع وبرامج صحفية عديدة، بأن هذا الشاب كان يملك موهبة حقيقية، في الرقص، والمسرح، والغناء، وأنه منذ كان صغيرا، كان مولعا بمثل هذه النشاطات الفنية، ثم إنه يتقن اللغة الفرنسية إتقانا جيدا، بل حتى أنني اعتقدت بأنه ولد بفرنسا وعاش في ضاحية من ضواحيها العامرة بالمغتربين يحسن الحديث والحوار، شاب لبق، متأدب، يدرك جيدا ماذا يريد مطلع جيدا على عالم الفن، صريح، طموح، له رغبة قوية من أجل تحقيق أهدافه وذاته.

لقد أفادتني كثيرا الفيديوهات التي رأيتها عن حياة هذا الشاب، وعلمت حينها كذلك، بأن لباس "الكاسكيط" والنظارات

الشفافة التي رأيت الكثير من الشباب يرتديها، ماهي إلاّ تقليدا لهذا الشاب الذي إستطاع أن يثبت حتى طريقة لباسه.

وأنا كمتابع للظواهر التي تحدث حولي، بودّي أن أقول للشاب الخضّار ومن خلاله لكل الشباب: إن الانتقال إلى أوروبا سواء بالتأشيرة أو "الحرقة" ليس هذا ما يجعل منك بالضرورة شابا ناجحا، وإنما هي مواهبك، مثابرتك، عملك، الرغبة القوية في النجاح، في تحقيق الذات، هي المعارف والخبرات التي تعلمتها وتتعلمها يوميا في الحياة، هي التخطيط والنظر إلى بعيد حتى ولو بقيت في الجزائر.

النجاح أيها الشباب لا يأتي بالتقليد، ولا بالتمني، ولا بالجهل النجاح يتحقق عندما تحدد مسارك، تجتهد وتتقن ما تعمل.

بودّي أن أقول للشاب بائع الخُضَار، النجاح هو أن تتقن تجارتك، تكسب زبائن جدد كل يوم، بأخلاقك وحسن سيرتك وإبداعك في البيع والشراء، النجاح ليس أن يصبح الجميع في الغناء، وإنما أن تكون كذلك في مجالك، تصنع لنفسك قصة جميلة، ربما سترددها الأجيال بعدك. يا أيها الشاب التاجر، أن تكون الخضّار في واقعك، خير لك أن ترغب أن تكون المغني بالتمني، في الخيال والأوهام، واقعك يغيره عقلك، خاصة إذا كان ملكك، وليس ملكا لأحد، يفعل بك ما يشاء.

فهرس الموضوعات